جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2195) - السنة (55) صفر 1446هـ / 1 سبتمبر 2024م

مستقبل المشروع الصهيوني

الكويت 750 فلساً . السعودية 10 ريالات . البحرين دينار بحريني . قطر 10 ريالات . سلطنة عمان ريال عماني . الأردن 1.750 دينار أردني . لبنان 4500 ليرة . المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

تأسست عام 1970

المنصات العربية

الموقع العربي

الميديا

English Platforms

English Site

Media

الأعداد الورقية والإصدارات

قريباً على بوابة المجتمع

موقع أرشيف
مجلة المجتمع

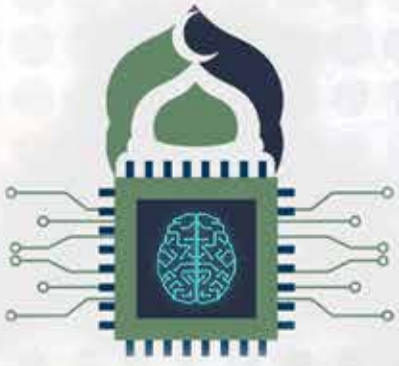

المحتوى الإسلامي
بالذكاء الاصطناعي

موقع نظام
الاستشارات للمجلة

العدد (2195) - السنة (55)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

إسلامية أسبوعية
تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:
سالم القحطاني

مدير التحرير:
جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

في هذا العدد:

مستقبل المشروع الصهيوني

6 الكويت.. أيقونة العطاء العالمي ومستودع الأمل في الأزمات
9 كاريكاتير المجتمع
10 محمد أحمد الراشد.. رحلة داعية من بغداد إلى العالمية
12 المشاهد الحضارية في استشهاد القائد إسماعيل هنية
16 «طوفان الأقصى».. ومآلات المشروع الصهيوني
30 العالم الإسلامي بعد المشروع الصهيوني.. رؤية استشرافية
44 ثورة بنغلاديش.. من البداية إلى النهاية
48 في ذكرى تأسيسه.. تحديات حقيقية أمام «العدالة والتنمية» التركي
50 اليمين المتطرف.. وأبعاد اضطرابات بريطانيا العنصرية
66 جهاد غزة.. نصرٌ أو استشهاد

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

سورة التوبة

رأي المجتمع

ذكرى حرق المسجد الأقصى.. ومستقبل الكيان الصهيوني

منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه أقدام الصهاينة مدينة القدس المباركة عام ١٩٦٧م وهم يحاولون مراراً هدم المسجد الأقصى المبارك وبناء «هيكلهم» المزعوم.

فقد تتابعت الاعتداءات المجرمة على المسجد الأقصى المبارك وعلى أهله من أبناء فلسطين المرابطين الذين أَبَوْا التخلي عنه، وآثروا الحياة في كنفه بالرغم من الأخطار الكبيرة التي يتعرضون لها، مستعدين للشهادة في أي لحظة دفاعاً عن المقدسات.

وقد تعرض المسجد الأقصى لعشرات الاعتداءات الصهيونية منذ احتلاله عام ١٩٦٧م، عدا الحفريات المستمرة التي شملت مساحة واسعة تحت أرضيته، التي كان أكبرها النفق الذي افتتح عام ١٩٩٦م.

ولعل أبرز حدث ضمن سلسلة الإرهاب اليهودي ما ارتكبه الأسترالي النصراني المتصهين دنيس مايكل روهان من حرق لمبنى المسجد الأقصى المبارك، وذلك فجر يوم الخميس ٧ جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ/ ٢١ أغسطس ١٩٦٩م؛ حيث أتت النيران يومها على آثار عمرانية تاريخية دينية في الجناح الشرقي للمسجد القبلي، ومنها منبر نور الدين زنكي، ومحراب زكريا عليه السلام.

وكانت آخر التهديدات الصهيونية، دعوة وزير الأمن القومي في دولة الاحتلال إيتمار بن غفير المشؤومة، في ٢٦ أغسطس ٢٠٢٤م، لبناء كنيس يهودي داخل المسجد الأقصى المبارك.

وفي ظل هذه الاعتداءات الصهيونية المتكررة على المسجد الأقصى، واستهدافه من القواعد، جاءت «طوفان الأقصى» لتظهر أنه كيان هش يمكن هزيمته بسهولة، إذا تحقق الإخلاص والصبر، وليضع دولة الكيان أمام منعطف غير مسبوق، فأصبح يتهددها خطر وجودي، ويتوقع المراقبون أن يواصل الكيان الانحدار حتى يزول، فالنازية الصهيونية شأنها شأن النازية الألمانية مصيرها الزوال.

مطلوب تحرك عربي وإسلامي عاجل لإنقاذ القدس والمقدسات، وحماية الفلسطينيين في غزة من الإبادة الجماعية على يد الكيان الصهيوني وداعميه وعلى رأسهم أمريكا، وحماية المقدسيين من اعتداءات قوات الاحتلال الصهيوني وهمجية المستوطنين المتطرفين، وإنقاذ أولى القبلتين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أيدي الصهاينة الغاصبين، والتصدي لمؤامرة هدمه، كما يجب على الأمم المتحدة والقوى الكبرى الفاعلة في العالم أن تتحمل مسؤولياتها وتوقف الإجرام الصهيوني، وتجبر الكيان على الانصياع للقانون الدولي.■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩
قطر :
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :٧٢٥١١١ / ف : ٧٢٣٧٦٣
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

الكويت.. أيقونة العطاء العالمي ومستودع الأمل في الأزمات

في عالم يعصف به الأزمات والصراعات، تظل الكويت دائماً منارة للعمل الخيري والإنساني، مجسدة بذلك رؤية القيادة السياسية الحكيمة التي تحرص على إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، وتحت رعاية سمو أمير البلاد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح، تواصل الكويت دورها الريادي في دعم الإنسانية، مدفوعة بروح العطاء التي تميز الشعب الكويتي.

إنّ العمل الخيري في الكويت ليس مجرد مبادرات مؤقتة، بل إستراتيجية متكاملة ترسخ مكانة الكويت كدولة رائدة في مجال العمل الإنساني على مستوى العالم.

كتب – المحرر المحلي:

الكويت في غزة.. جسر الحياة والدعم المستمر:

تستمر الكويت في ممارسة دورها الإنساني الرائد، ممتدة بسواعدها الخيرية إلى أهل غزة المنكوبين، فمنذ بدء العدوان الصهيوني في أكتوبر ٢٠٢٣م، أسست الكويت جسراً جوياً بلغ ٥٥ رحلة، محملة بالمساعدات الطبية والغذائية ومستلزمات الإيواء العاجلة، بالتعاون مع الجمعيات الخيرية الكويتية ومؤسسات الدولة، كما أرسلت الكويت ٣ سفن إغاثية محملة بأطنان من المواد الغذائية الأساسية، وتواصلت الجهود عبر قوافل إغاثية برية انطلقت من الأردن.

وقد أعلنت الجمعية الكويتية للإغاثة أن مجموع المساعدات الكويتية لإغاثة المتضررين من اعتداءات الاحتلال «الإسرائيلي» على غزة، منذ ٧ أكتوبر الماضي، تجاوز ١٨ مليون دولار، جمعت بحملات خلال ٣٠٠ يوم، بمشاركة أكثر من ٣٠ جمعية.

وتم إنفاق هذا المبلغ في عدد من قطاعات الاستجابة السريعة، لا سيما الكوارث والأزمات والحروب، منها تلبية لنداءات الاستغاثة للأشقاء الفلسطينيين، وعلى رأسها قطاعات الغذاء والدواء والإيواء التي تجاوزت ٥,٥ أطنان من المواد الإغاثية الإنسانية العاجلة والضرورية التي يحتاجها سكان القطاع.

كما أعلنت عن تسيير قافلة إغاثية محملة بـ٦٠ طناً من المواد الغذائية الضرورية لدعم وإغاثة المتضررين في شمال قطاع غزة، الذي يتعرض للحصار والتجويع المتصاعد منذ بدء عدوان الاحتلال على القطاع، ويأتي تنظيم القافلة عبر مكتب منظمة «رحمة حول العالم» في فلسطين، وبتعاون وتمويل مشترك مع جمعية العون المباشر ليستفيد منها ما لا يقل عن ٣٠ ألف أسرة، وتتكون الحمولة من نحو ٣٠ طناً من الدجاج المجمد، و٢٥ طناً من سلال الخضراوات، و٥ أطنان من أطباق البيض.

وأكدت نماء الخيرية بجمعية الإصلاح الاجتماعي استمرارها في تنفيذ حملة «سقيا المياه»، التي أطلقتها لتوفير المياه الصالحة للشرب لأهالي غزة، خصوصاً في المناطق الأكثر تضرراً من النزاع في ظل الأزمة الإنسانية المتفاقمة التي يواجهها سكان قطاع غزة، حيث تم توزيع ٣٠٠ تنكر مياه في شمال وجنوب القطاع، كل منها يكفي لتلبية احتياجات أكثر من ٢٥٠ أسرة.

فيما أكدت الجمعية الخيرية الكويتية «حفاظ» وصول مساعدات طبية وسلال غذائية للنازحين في قطاع غزة حيث بلغ عدد المستفيدين من المساعدات منذ بداية الأزمة أكثر من ١٢ ألف شخص، كما وزعت الجمعية ٦٦٧ علبة حليب، استفاد منها ١٦٦ طفلاً، و٣٥٧ سلة غذائية استفادت منها ٣٥٧ أسرة، و٣٠٠٠ ربطة خبز استفادت منها ٣٠٠٠ أسرة، و٢١٥ سلة رمضانية، و١٠٩٢٤ وجبة إفطار صائم في رمضان استفاد منها ١٠٩٢٤ فرداً.

٦ رحلات جوية إلى مطار بورتسودان:

لم تنس الكويت الأشقاء في السودان، فقد سيرت الكويت ٦ رحلات جوية إلى مطار بورتسودان، محملة بـ١٠ أطنان من المواد الإغاثية والبطانيات، لدعم وإغاثة النازحين وتخفيف معاناتهم، ويأتي تجهيز وإرسال هذه المساعدات ضمن حملة «الكويت بجانبكم»، وتنفيذاً لتوجيهات سمو أمير البلاد الشيخ مشعل الأحمد لدعم الأشقاء في السودان، وتجسيداً لتضامن الشعب الكويتي مع المنكوبين، وحرصاً على الإسهام في تخفيف معاناتهم.

ومن السودان إلى اليمن، أعلن عدد من الجمعيات الخيرية تقديم مساعدات عاجلة لعدد من الأسر المتضررة من السيول، وتجسد هذه المساعدات سياسة دولة الكويت في إغاثة المحتاجين والتخفيف من آثار هذه الكارثة التي حلت بعشرات الآلاف من الشعب اليمني ممن تهدمت منازلهم وشردوا بسبب الأمطار والسيول،

وتقديم هذه المساعدات استجابة لنداءات السلطات المحلية في هاتين المحافظتين لإغاثة المنكوبين والحد من معاناة الأسر المتضررة جراء السيول الجارفة.

وافتتح بيت الزكاة «مركز التركيت الطبي» بمدينة تريم في محافظة حضرموت شرقي اليمن، ليستفيد منه أكثر من ٣٠ ألف شخص ضمن حملة «الكويت بجانبكم» المستمرة للعام التاسع على التوالي، ويضم ٨ عيادات للأطفال والنساء والولادة والباطنة والطوارئ وغرفة للتطعيمات وعيادة لعلاج سوء التغذية وتنظيم الأسرة والطوارئ ومستودعاً ومختبراً وصيدلية.

كما قامت جمعية الرحمة العالمية بافتتاح مدرسة «إدريس الأساسية للفتيات» بحي المطار شرقي مدينة مأرب اليمنية بتكلفة إجمالية بلغت ٣٣٠ ألف دولار، وبتمويل متبرعين كويتيين ضمن حملة «الكويت بجانبكم» المستمرة للعام التاسع على التوالي، وبنيت المدرسة على مساحة ٤٥٠٠ متر مربع تتكون من دورين وتشمل ١٢ فصلاً دراسياً مع الإدارة ومعامل مدرسية ومكتبة.

فيما أجرت جمعية العون المباشر مخيماً طبياً تضمن إجراء ٤٠٠ عملية جراحية لسحب المياه البيضاء وزراعة العدسات ومعاينة حوالي ٣٠٧٨ مستفيداً، وفحوصات مخبرية وباطنية.

ومن اليمن إلى اللاجئين الروهنجيا في بنجلاديش، حيث سلمت جمعية تنمية الخيرية المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين مبلغ ١٨٠ ألف دولار كمساهمة منها لإغاثة لاجئي الروهنجيا، وهي المساهمة الرابعة من قبل الجمعية بإجمالي مليون و١٠٠ ألف دولار على مدى الأعوام الأربعة السابقة لدعم هذه الفئة التي تعاني أوضاعاً معيشية صعبة للغاية خاصة بعد أن تم تهجيرهم وأصبحوا لاجئين بلا هوية.

ومن بنجلاديش إلى اللاجئين السوريين في الأردن، حيث نظم مركز نماء الخيرية للعمل التطوعي، بالتعاون مع فريق «واعد التطوعي»، رحلة تطوعية لدعم اللاجئين السوريين في المخيمات والأسر الفلسطينية المحتاجة بالأردن.

وتأتي هذه الرحلة ضمن البرنامج التدريبي الذي تنظمه «نماء» لمشتركي مشروع «واعد»، من خلال تعزيز قيم التطوع والعطاء والمشاركة والمسؤولية المجتمعية، حيث ضمت الرحلة متطوعين من عمر ١٤ إلى ١٧ عاماً، وقد بدأ الوفد بزيارة إلى سفارة الكويت في الأردن، حيث استقبل السفير الكويتي وفد «نماء» الخيرية وفريق «واعد» التطوعي بحفاوة، وقد تم خلال الرحلة الإغاثية توزيع ٢٠٠ سلة غذائية على الأسر في المخيمات ومراكز الإيواء، و١٠٠ كسوة للطلاب من ذوي الاحتياجات الخاصة، كما تم تقديم مساعدات للأسر الفلسطينية لتلبية احتياجاتهم الأساسية.

ومن الأردن إلى الشمال السوري، حيث أعلنت الجمعية الخيرية الكويتية (حفاظ)، أنها عالجت ٢٠ طفلاً من النازحين في الشمال السوري، وقدمت السلال الغذائية لأسر الأطفال ضمن مشروع إعانة مرضى سوء التغذية.

ومن الشمال السوري إلى تشاد حيث أعلنت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية عن توزيع الزي المدرسي على ٤٢٠ يتيماً وفقيراً يتكفلهم «مركز اللهيب للرعاية الاجتماعية» التابع للهيئة في جمهورية أوغندا، واستفاد منه ٣٤٠ يتيماً، و٨٠ طالباً آخرين من الفقراء وأبناء المعلمين والعاملين في المجتمع المحيط بالمركز، وقد شملت التوزيعات أزياء رياضية وملابس شتوية وأحذية بما يسهم في توفير بيئة تعليمية ملائمة بتكلفة إجمالية بلغت ٢١ ألف دولار.■

عطر للجسم بنك و برونز
SHIMMER PARFUM MIST
يُضفي هذا العطر المتلألئ بريقاً ويمنحك رائحة بنفحات
عطرية منعشة و هالة عطرية
مضيئة وشعوراً بالنظافة
مناسب لجميع المناسبات ويمكن استخدامه يوميًا

الشايع
منذ SINCE 1928
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES
www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

أنتم في قلوبنا..
عبدالهادي العجمي.. رجاحة عقل ودين

مكتب الوفاء- عادل العصفور:

يتدفق نهر الحياة كل لحظة بنفوس وليدة، تستقبل الحياة وتبدأ رحلة لا يعلم إلا الله متى وأين منتهاها، ففي لحظات تنبت لنا الحياة غصناً نضراً ذا أصل طيب مبارك، وفي اللحظات نفسها تقتطف براعم ثمار نابتة، فنرى نفوساً قد أفل نجمها، واستوفت أجلها، فرحلت عن دنيانا لتستقبل الآخرة، وتبدأ معها رحلة المستقر الأبدي، نفوساً اتخذت من دنياها مجداً لأخراها وزاداً لسفرها وبلوغ الآخرة.

نشأ الشاب عبدالهادي عبدالله عامر العجمي في عبادة الله؛ فتخلق بأخلاق بالقرآن، وعاش بالقرآن، ومات وهو يستمع القرآن.

صفاته:

لقد بلغ عبدالهادي السادسة عشرة من عمره، لكنه كان ابن الستين في رجاحة العقل والوعي والفهم والدين، فكان باراً بوالديه، محسناً إليهما، وإلى كل من يتعامل معه، تمسك بالفضيلة ومكارم الأخلاق والتزم وظائف الشريعة، فكان غرة في جبين أسرته رغم حداثة سنه وشبابه.

كان شمعة تضيء الظلام بين إخوانه، نجماً يهدي بسلوكه شباباً حائرين، ونسمة باردة في قيظ شديد امتلأ قلبه بحب الله ورسوله وحب العلم الشرعي، إضافة إلى كونه في الصف الثالث الثانوي العلمي، وقد عرف بين أقرانه بدماثة الخلق والعمل الجاد المخلص، كان مع أقرانه يمثلون جيلاً واعياً يحمل همّ الدعوة والعمل لبناء الوطن، فكان المسجد بيته.

دوره الدعوي:

كان يرفع الأذان ويوقظ الشاب والشيخ الكبير لصلاة الفجر، يسعى لمجالس العلم أينما كانت، ملأ عمره القصير بالكثير من العمل والاجتهاد وطلب العلم حتى قبل وفاته ورحيله عن الدنيا.

ما أثقل الشاب الصغير يتزود في دنياه القليلة لآخرته، فأدى مناسك العمرة، ذهب ليحرر نفسه من قيود الدنيا وأغلالها، ذهب ليغسل روحه وقلبه وعينه بماء زمزم يتطهر به ليلقى رب العالمين في أكمل صورة، عاد الشاب الصغير من العمرة خفيف الروح، يكسو النور وجهه، فكأنه تنسم نسيم الجنة وعبيرها.

وفاته:

قصد عبدالهادي المسجد يوم الجمعة ٢٢ المحرم ١٤٠٧هـ/ ٢٦ سبتمبر ١٩٨٦م، ورفع الأذان الأول للصلاة، فجاء صديق له وعرض عليه الذهاب للصلاة عند الشيخ الجليل أحمد القطان، فذهب معه وكأنه على موعد، فقد حان وقت الرحيل، وما هي إلا دقائق ركبها في السيارة، وانطلقا وقد حانت من الصديق التفاتة إلى عبدالهادي، فداعبه متسائلاً عن سر النور الذي يغطي وجهه!

فتبسم عبدالهادي وطلب من صاحبه وضع شريط قرآن يستمعان إليه في الطريق، وما هي إلا لحظات صدح فيها المقرئ بالقرآن حتى اختلت عجلت القيادة من الصديق، ووقع حادث أليم وانطفأ نور الحياة من عبدالهادي، لكن نور الإيمان لم ينطفئ أثره من على وجهه، فإن غيبه الموت فما زال حياً في نفوس الكثير من الأهل والأصدقاء والشيوخ.■

دماء الشهداء
فلسطين

غزة ... الحب والحرب

محمد أحمد الراشد.. رحلة داعية من بغداد إلى العالمية

خاص بـ«المجتمع»

في فجر الثلاثاء ٢٧ أغسطس ٢٠٢٤م، فُجع العالم الإسلامي بوفاة العلَّامة محمد أحمد الراشد، أحد أبرز المفكرين والدعاة الإسلاميين في العصر الحديث، في العاصمة الماليزية كوالالمبور.

وُلد عبدالمنعم صالح العلي العزي، الشهير بمحمد أحمد الراشد في بغداد عام ١٩٣٨م، وتربى في حي الأعظمية وسط عائلة تنتمي لعشيرة بني عز العربية.

منذ صغره، أظهر الراشد نبوغاً واهتماماً بالعلم، حيث بدأ بتصفح المجلات الأدبية وهو في سن الثامنة، وتلقى دعماً كبيراً من أسرته لمواصلة تعليمه، مما صقل لديه حب القراءة والمعرفة.

تلقى الراشد تعليمه الابتدائي في مدرسة تطبيقات دار المعلمين، وهي من أرقى المدارس في العراق، وبرز منذ طفولته بالنشاط والتفوق الدراسي، إذ كان يجيد العديد من الرياضات كالسباحة وكرة القدم، وكان لا يفتر عن التجوال على دراجته الهوائية، ودرس الراشد في كلية الحقوق بجامعة بغداد، حيث تعمق في علوم الشريعة والفقه المقارن، وتخرج فيها عام ١٩٦٢م.

في مجال الدعوة، تتلمذ الراشد على يد عدد من كبار العلماء، من بينهم الشيخ عبدالكريم الشيخلي، ود. تقي الدين الهلالي، والشيخ أمجد الزهاوي، وتأثر الراشد بشكل خاص بفكر محمد محمود الصواف، وقصائد وليد الأعظمي، وشكلت هذه الشخصيات مرجعية له في بناء منهجه الدعوي.

مسيرته الدعوية

بدأ الراشد مسيرته الدعوية منذ صغره، حيث انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في العراق وهو في الثالثة عشرة من عمره، ومع تصاعد الأحداث السياسية في العراق والوطن العربي، انخرط الراشد بشكل أعمق في العمل الدعوي، وبدأ يركز على تطوير منهجية تربوية علاجية لمواجهة التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية.

اضطر الراشد لمغادرة العراق في بداية السبعينيات بسبب الظروف الأمنية، وانتقل للعيش في الكويت ثم الإمارات وماليزيا، خلال تنقلاته، واصل نشر فقه الدعوة من خلال إلقاء المحاضرات والدروس وكتابة الكتب التي تميزت بأسلوب أدبي رفيع، من أبرز مؤلفاته «المنطلق»، و«العوائق»، و«صناعة الحياة»، التي أصبحت مرجعاً مهماً للدعاة في مختلف أنحاء العالم.

عمل الراشد على توحيد صفوف الدعاة وتطوير العمل الدعوي وقدم إسهاماته الفكرية والدعوية، متنقلاً بين دول مختلفة، لنشر الفقه الدعوي ورفع راية الدعوة الإسلامية.

منذ صغره أظهر نبوغاً واهتماماً بالعلم وبدأ بتصفح المجلات الأدبية وهو في الثامنة

تتلمذ على عدد من كبار العلماء منهم الشيخلي والهلالي والزهاوي والصواف

عمل على توحيد صفوف الدعاة وتطوير العمل الدعوي وقدم إسهاماته الفكرية والدعوية

و«المجتمع» إذ تتقدم باسم رئيس تحريرها والعاملين بها بأحر التعازي والمواساة في فقيد الأمة الإسلامية، سائلة الله عز وجل له الرحمة والغفران، وأن يسكنه فسيح جناته.■

كلمات في رحيل شيخنا محمد أحمد الراشد..

وبدأ استثمار الخلود

عبدالرحمن الشطي

وكن رجلاً إن أتوا من بعده
يقولون: مرّ وهذا الأثر

هذا البيت الملهم كان يتمثل به دوماً الشيخ عبدالمنعم صالح العلي العزي، رائد فقه الدعوة الذي رحل عن دنيانا إلى جوار ربه رحمه الله رحمة واسعة.

ولد عام ١٩٣٨م في بغداد العراق، وقد عرف بكتاباته الدعوية باسم محمد أحمد الراشد؛ وذلك لظروفه الأمنية، حيث خرج من العراق هرباً من ظلم البعث العراقي، ولجأ إلى الكويت فكانت محضناً له ووفى لها بكتاباته في إحياء فقه الدعوة التي تربت عليها أجيال دعوية مباركة.

تميزت عطاءاته في الساحة الفكرية والدعوية، وساعده في ذلك ملكات معرفية موسوعية يعرفها كل من عاصره وقرأ مؤلفاته.

هو الداعية المؤصل شرعياً؛ فكان إنتاجه نموذجاً تأصيلياً عميقاً مستلهماً من أصول الشرع وكتابات السلف الصالح.

هو الأديب الذواق؛ فكانت حروفه وكلماته طبقة بيانية عالية جعلت الشباب يرددون كلماته في المحافل والدروس تلذذاً بسحرها.

هو المبدع الجريء؛ فكانت نظراته استعلاء على واقع مرير وتحريكاً لصناعة الحياة.

هو الأمين الناصح لدعوته؛ فكانت حياته خدمة لدعوته؛ تنظيراً وتأصيلاً وحركة وتفاعلاً مع الأحداث حتى آخر رمق في حياته.

تأثر به شباب الدعوة في الأمة كافة وفي الخليج خصوصاً، حيث أقام في الكويت سنوات ثم في الإمارات وبعدها إلى أوروبا ثم استقر به المقام في ماليزيا حيث توفي فجر يوم الثلاثاء ٢٧/ ٨/ ٢٠٢٤م، رحمه الله.

يسَّر الله تعالى لي أن ألتقي الشيخ «بو عمار» عدة لقاءات متفرقة على طريقة «الشاي خانة»، كما كان يسميها الشيخ ويسميها أهل العراق القدامى، وكانت من أجمل لحظات الحياة، فالقرب منه يحييك.

كان الخُبْر كالخَبَر؛ من علم غزير وذهن حاد، ذاكرة حديدية واطلاعات موسوعية، مع نظرات إبداعية ومرونة ذهنية، مبادئ راسخة وقيم أصيلة، وهوية إسلامية مستعلية، نصرة للجهاد والدعوة، ذي طبع عربي أصيل وتواضع جم يخجلك.

وكان قد كتب مقالة نادرة في فكرتها، عظيمة في مقصدها، نورانية حروفها بعنوان «منهجية إبداعية في استثمار الخلود»، تصور فيها طمعاً برجاء الله سبحانه أن يدخل الجنة، وكتب أمنياته في قضاء واستثمار الخلود في تلك الجنان.

فلعله بدأ الآن نعيم استثمار الخلود، نسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يتغمده بواسع رحمته.

أيها الراشد، لئن توقف قلمك، فإن آثار حروفك ما زالت تسري في روح شباب الدعوة.

كنت تقول: «المبدعون منا آل الدعوة» فلله درك!

فقد بدأت «المنطلق»، محذراً من «العوائق»، مهتدياً بـ«الرقائق»، حريصاً على «المسار»، متطلعاً إلى «صناعة الحياة»، مدوناً لـ«رسائل لا تخطئها العين»، وفياً لكل «مسافر في قطار الدعوة»، أرشدتنا إلى «صراطنا المستقيم»، وصولاً إلى «آفاق الجمال»، مهذباً «مدارج السالكين»، باعثاً لـ«الفقه اللاهب»، مسترسلاً في «حركة الحياة»، حتى تمثلت «منهجية التربية الدعوية»، متسلحاً بـ«أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي»، مستنشقاً «عبير الوعي»، بانياً لصرح «العمارة الدعوية»، وفق «رؤى تخطيطية»، بهدوء «مقدمات الوعي التطويري»، داعياً الدعاة والأمة إلى «المؤتمر».

واسمح لي هنا يا شيخي أن أتوقف، ولعلي أكتب بعض أفكار أخرى لاحقاً حول مدرستك الدعوية التي تشرفت بالتتلمذ فيها ولما أتخرج منها، حرصاً على وعد وعهد قطعناه في تلك الجلسات فالله المستعان.

اللهم كما أنار عقول وقلوب شباب المسلمين، نوِّر قبره، وافسح له مُد بصره، وارزقه أجر المجاهد في سبيلك، وافتح له خزائن الخلود في جنانك.■

المشاهد الحضارية في استشهاد القائد إسماعيل هنية

د. وصفي عاشور أبو زيد

إن الميتة التي ماتها إسماعيل هنية ليست كأي ميتة، وإن الشهيد هنية ليس كأي شهيد، وإن تجاوب العالم مع هذا الحدث ليس كأي تجاوب، وإن جنازته وتشييعه؛ حضوراً وتغطيةً وآثاراً، ليست كأي جنازة!

مشهد كله جلال، وكله جمال، وكله عظة وعبرة، وكله تمايز بين فريقين وفسطاطين يتمايزان مع الزمن ومع الأحداث؛ فسطاط الكفر، وفسطاط الإيمان، ومشهد كله «حضور»، وهذا الحضور تعدد وتنوع في مشاهد عدة:

أول مشاهد هذا الحضور وجوانبه، هو أن هذا القائد الشهيد عاش حياةً كلُّها حضور وتأثير، وكلها تضحيات وعطاء، وكلها بذل وجهاد، عاش لفكرة، وعاش لقضية، فكان لقاء ذلك أن تكون حياته لها حضورها، وشهادته لها حضورها وامتداداتها، وهذا ما يؤكده كلام أخيه الشهيد السابق له على الطريق الأستاذ سيد قطب في رسالته «أفراح الروح»: «عندما نعيش لذواتنا فحسب، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من حيث بدأنا نعي، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود، أما عندما نعيش لغيرنا، أي عندما نعيش لفكرة، فإن الحياة تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية، وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض!».

والمشهد الثاني: هو أنه عاش في مخيم الشاطئ حاضراً آلام الناس ومشاركاً آمالهم، يقاسمهم الحصار وآثاره، ويحضر معهم الأفراح والأتراح، ثم خرج من غزة؛ ليترأس حركة من أشرف الحركات التي عرفها التاريخ الحديث، ويقود المسيرة في هذا الوقت العصيب، وكانت خاتمته في الدنيا أن يدفن في مدافن الإمام المؤسس في حي لوسيل بالدوحة!

والمشهد الثالث: هو أن قيادته للحركة جعلت لها حضوراً، وقوة وبأساً، وقد رأينا كيف كانت معركة «سيف القدس» فتحاً للحركة فرضت بآثارها نفسها، وقوتها، وحضورها حتى على مستوى الأنظمة الرسمية في الجزائر وموريتانيا وغيرهما، ثم قاد السفينة في وقت حدث فيه تلاسن كبير وواسع داخل الحركة وخارجها بشأن العلاقة مع إيران، ثم قاد الحركة مع «طوفان الأقصى»، وكان رأس التفاوض والتواصل والاتصال محلياً وإقليمياً ودولياً، وأبدى -هو وإخوانه في قيادة الحركة- مرونة كبيرة وتجاوباً ملحوظاً في غير تفريط بثوابت القضية، وعانوا ما عانوا ليلاً ونهاراً ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

والمشهد الرابع: هو مشهد الثبات والصبر والرضا والاحتساب الذي أبداه شهيدنا أمام استشهاد أولاده وأحفاده

وذوي أرحامه، فحُقّ فيه قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ١٥٦ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة)، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ولدُ لعبدٍ قال الله عزَّ وجلَّ لملائكته قبضتم ولدَ عبدي، فيقولون: نعم، فيقولُ: قبضتم ثمرةَ فؤادِه، فيقولون: نعم، فيقولُ: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمَدك واسترجع، فيقولُ: ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنَّةِ وسمُّوه بيتَ الحمدِ» (أخرجه الترمذي في سننه (١٠٢١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٣)، وإسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما).

والمشهد الخامس: هو مشهد الشهادة؛ حيث لقي الله تعالى مجاهداً من أجل قضيته، على يد أعداء هذه الأمة، وما أبعد الفرق بين موت الإنسان ميتة عادية على فراش المرض أو في حادث سير، أو بجائحة من الجوائح، أو مرض من الأمراض، أو ميتة فجائية دون مقدمات، وبين أن تكون ميتته على يد أعداء هذه الأمة! وقد قيل: «إذا أردت أن تعرف أهل الحق، فانظر إلى أين تتجه سهام العدو».

والمشهد السادس: هو هذا الحضور الكبير بل الأكبر في عصرنا، الذي صاحَب الخبر وتلاه، سواء في نشره، أو التعليق عليه، أو التحليلات التي نشرت، أو القصائد التي كُتبت، أو المقالات التي دُبِّجتْ، أو النشرات الإخبارية والتغطيات التي بُثَّت، أو الإذاعات التي تحدثت.. لقد شُغلت الدنيا كلها والعالمُ كله بهذا الحدث الجلل!

والمشهد السابع: هو هذا الدعاء، والرجاء، والبكاء الذي رأيناه في وجوه عموم المسلمين وبأصواتهم، في غزة، وفي الشعوب العربية الأصيلة المفارقة لحكامها، وعموم المسلمين في كل مكان، بل أعداد غفيرة من غير المسلمين؛ نخبة وعواماً، ممن نعَوْا هنية، وأبدوا تعاطفهم وتضامنهم، وأنزلوا سخطهم على أعداء الأمة والملة.

والمشهد الثامن: من المشاهد الحضارية لاستشهاد هذا القائد البطل، هو هذه الصلوات عليه؛ صلاة الجنازة في الدوحة التي لم نر لها مثيلاً قبل عقود، وصلوات الغائب في أنحاء العالم الإسلامي، ولو وجد كثير من غير المسلمين سبيلاً لصلاة الغائب لصلوا عليه.

والمشهد التاسع: هو الغياب الحاضر لكثير من الدول العربية والإسلامية، التي

القائد الشهيد عاش حياة كلها حضور وتأثير وتضحيات لفكرة وقضية

الدماء الزكية للقائد هنية جعلت القضية حية وحاضرة وقوية وبارزة

لم تُصدر بياناً لنعي هذا القائد، رغم أنه كان رئيساً للوزراء، ولا حضرت جنازته ولا عزاءه، ومصر التي كانت تستقبله للمفاوضات التي هي جارة له أصدرت خارجيتها بياناً استنكفت أن تذكر فيه اسمه، كما أن هناك دولاً وقفت وقفات مشرفة، وناصرت وحضرت، فكان لها الحضور الحالي، الذي سيذكره التاريخ في المستقبل: تركيا نكست الأعلام وأقامت صلاة الغائب في كل مساجدها، وأمير قطر والأمير الوالد حضرا الجنازة في الدوحة، وهناك من تجاهل الحدث كله، ومن لم يجد في نفسه الجرأة أن يذكر اسم الشهيد، فلا يعرف قدرَ الرجالِ إلا الرجالُ، ونقول للمتجاهلين والمتخاذلين ما قال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحـــرمُ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا؟ بضَائـــرِه
العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجمُ
سَهْلُ الخَليقَةِ، لا تُخشـــى بَوَادِرُهُ
يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ

والمشهد العاشر: هو ذلك الحضور على مستويين؛ مستوى الصهاينة ومجلس حربهم، والرعب الذي يتملكهم من التهديدات الإيرانية وأذرعها، ومن المقاومة وفصائلها؛ فحسبهم هذا الرعب فقط؛ فكيف لو تحول إلى عمل، وصارت التهديدات أفعالاً على الأرض؟! إن هذه الدماء الزكية ستختصر الطريق وتقرب الزمان بإذن الله تعالى.

والمستوى الثاني هو مستوى قضية فلسطين وغزة و«الأقصى» والقدس والأسرى، الذي أصبح في وجدان كل مسلم، بل كل إنسان حر؛ فالدماء الزكية للقائد إسماعيل الذي غادرنا وهو ثابت على شعاره: «لن نعترف بإسرائيل»، جعلت القضية حية وحاضرة وقوية وبارزة، وأعادت للمشهد ألقه وحضوره كما لم يكن من قبل.

وحسبنا أن نختم بكلمة للشهيد سيد قطب الذي قالها في تفسيره لسورة «غافر»، يقول رحمه الله تعالى، وألحق به أخاه هنية في الفردوس الأعلى: «وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يُودِعَ القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزاً محركاً للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزاً محركاً لخطى التاريخ كله مدى أجيال».

تلك عشرة كاملة من المشاهد الحضارية التي أحْضَرتْها هذه الدماءُ الزكية، وهذا الحدثُ الكبير، وهذا التفاعل غير المسبوق، وهذه المعاني السامية؛ فالشهادة حضور، والحضور شهادة، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، ولا نامت أعين الجبناء!■

المشروع الصهيوني.. رؤية تعريفية

مي سمير

في ضوء صراع مستعر وصل إلى مراحل غير مسبوقة من الاشتباك بين العالمين العربي والإسلامي من ناحية، والكيان الصهيوني من ناحية أخرى، يتعين توظيف كافة الأسلحة في ساحات المعارك، ليست فقط تلك الساحات التي تستعين بالرصاص والنار، وإنما تستدعي المعركة نزالاً مكثفاً في ساحة النزاع الفكري والثقافي والمعرفي، خاصة في ظل رؤى تنظيرية متنامية تردد بقوة اجتهادات فكرية حول نهاية «إسرائيل» وانهيار المنظومة الأخلاقية والحضارية الغربية أمام اختبار غزة الحاسم، وافتضاح وتهاوي كثير من المؤسسات والحكومات المدعية الذين كشفوا عن الوجه الغربي القبيح للعنصرية الإمبريالية التي لا تلقي بالاً للمبادئ والقوانين والأعراف إذا ما كان الطرف الآخر من خارج الانتماءات العرقية المذهبية الضيقة لواضعي تلك القوانين، التي وُضعت بشكل رئيس لخدمة القوي ولتكريس مصالحه لا أكثر.

الصهيونية.. النشأة والمآل:

يشير د. عبدالوهاب المسيري، في موسوعته الشهيرة «اليهود واليهودية والصهيونية» إلى استخدام الخطاب السياسي العربي لكلمة المشروع الصهيوني كتعبير عن المخطط الصهيوني لاحتلال فلسطين وطرد أهلها والهيمنة عليهم، وفي أحيان أخرى باعتباره مؤامرة يهودية لا تنتهي، وقد انطلقت فكرة إقامة كيان بطابع يهودي أولاً ثم تحول فيما بعد إلى صهيوني، وعبر عدد من قادة أوروبا عن قبولهم للفكرة في وقت مبكر، وأبرزهم نابليون عام ١٧٩٩م، ثم بالمرستون، رئيس وزراء بريطانيا، عام ١٨٣٧م، وهو ما مهد لقيام الحركة الصهيونية بتشجيع بريطاني تكلل بإصدار «وعد بلفور» عام ١٩١٧م.

وبذلك تقوم الفكرة الصهيونية على ٣ أقسام رئيسة طبقاً للمسيري، كالتالي:

١- إقامة «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات كهدف إستراتيجي يتم تنفيذه على مراحل.

٢- تنفيذ ذلك المشروع بالحرب العدوانية التوسعية الاستيطانية وإقصاء سكان المنطقة إلى الخارج وتوطين اليهود بدلاً منهم بالإكراه.

٣- عدم وضع دستور تقليدي للدولة لتفادي وضع حدود واضحة حاسمة بغرض استمرار العمل على توسيع نطاقها لتحقيق مشروع «إسرائيل الكبرى».

وتظهر الأزمة البنيوية للدولة الوليدة

الأزمة البنيوية للمشروع الصهيوني هي نتيجة قيامه على تمييز وفصل عنصري لا يمكن استمراره

للمشروع الصهيوني نتيجة قيامها على تمييز وفصل عنصري حاسم لا يمكن استمراره واستقراره نتيجة صراع مسلح دائم بين سكان الأرض الأصليين والمستوطنين المفروضين من الخارج، بالإضافة إلى الفكرة التوسعية التي باتت في ظل النظام العالمي الحالي غير واقعية، في ظل استقرار كافة حدود الدول المحيطة؛ وهو ما يعني مأزقاً صهيونياً يمكن استغلاله عبر الفضح المتجدد للمشروع الصهيوني، وما ينطوي عليه على أفكار وخطط شديدة التطرف ومعادية لكافة القوانين والأعراف الدولية.

الصهيونية.. بين النازية والإمبريالية:

رغم المحاولات الصهيونية الدعائية لتصوير الصهيونية كرد فعل اتخذه اليهود من أجل الدفاع عن أنفسهم في مواجهة ما لاقوه من اضطهاد في أوروبا بشكل عام، وألمانيا النازية بشكل خاص، ومن ثم الترويج للصهيونية كدفاع يهودي عن النفس وتحرر يهودي من الظلم والاضطهاد، فإن المقارنة والمقابلة بين الصهيونية على صعيدي الفكر والممارسة تُظهر بجلاء التماثل حد التطابق بين الصهيونية والنازية، سواء من حيث نفي الآخر أو انتهاج القوة باعتبارها القيمة الأهم، والادعاء بالتفوق على أساس ديني عرقي، ومن ثم تتبع القيم والمعايير الأخلاقية من الداخل الصهيوني دونما اعتبار لأي قيم أو أعراف خارجية حتى لو كانت محل إجماع من كافة الأمم الأخرى طالما تلك الأمم ليست صهيونية.

من ناحية ثانية، يجدر فهم المشروع الصهيوني الاستيطاني في سياق المشروع الإمبريالي الغربي الذي تطور وتوسع في كنفه وتحت رعايته منذ القرن التاسع عشر، وهو مشروع يستهدف من ناحية التخلص من اليهود الذين لم يتمكنوا من الاندماج بشكل كامل في المجتمعات الأوروبية؛ مما تسبب في نزاعات وصراعات اجتماعية وتنامي الرفض الشعبي للجماعات اليهودية.

ومن ناحية ثانية، توظيف تلك الجماعات لمصلحة خدمة المشروع الإمبريالي في العالم، عبر تكريس وجود الغرب من خلال ممثل دائم بمثابة سفير لكنه ليس سفيراً دبلوماسياً إنما «شرطي» يحمل هراوة الغرب في وجه العرب والمسلمين، ويضمن بشكل دائم الحفاظ على مصالح الغرب في الإبقاء على التفوق الغربي في مواجهة تكريس تخلف العالم العربي والإسلامي عبر إغراقه الدائم في الصراعات والنزاعات المذهبية والدينية وإثارة الفرقة والتشتت في سائر جنبات ذلك العالم.

وهو ما يظهر جلياً اليوم عبر تقسيم العالم الإسلامي إلى معسكرين؛ أحدها متحالف مع «إسرائيل»، والآخر معادٍ لها، وهو الخلاف الذي يتم توظيفه يوماً بعد يوم لتكريس العداء السُّني الشيعي بعدما قدم الشيعة أنفسهم كمحور مقاوم لـ«إسرائيل» في مواجهة تصدير المحور السُّني كمتحالف وداعم لـ«إسرائيل».

في ساحة الوعي:

تفرض المعركة الحالية على نخبة العالمين العربي والإسلامي أن تنزع إلى أخذ زمام المبادرة في التوعية العالمية بالصهيونية، لا من حيث انتهاج النقد التقليدي القائم على المذهبية عبر ثنائية «الإسلام - اليهود» أو «الشرق - الغرب»، وإنما عبر نهج متجدد لتوسيع أفق نقد الصهيونية باعتبارها تهديداً فكرياً وجودياً للإنسانية والأخلاق والقيم والمبادئ، باستخدام عدد من الإستراتيجيات التي تحاول الانفتاح على النقد اليهودي الداخلي للصهيونية، والتشبيك مع نشطاء يهود الشتات الذين يعارضون الصهيونية، إذ إن تأسيس العداء الإسلامي للصهيونية عبر مرادفتها باليهودية يحصر الصراع في دائرة الدين، وهو ما يكرس المصلحة «الإسرائيلية» التي تسعى إلى تصوير نفسها كدولة يهودية مضطهدة بين مجموعة كبيرة من المسلمين المتطرفين.

على النخبة الإسلامية نقد الصهيونية باعتبارها تهديداً فكرياً وجودياً للإنسانية والأخلاق والقيم

من ناحية أخرى، فإن تسليط الضوء على الصهيونية في سياقها المعرفي الأوسع وإبراز ولادة تلك الأيديولوجية في إطار الغرب الإمبريالي وتوظيفها لدعم استمرار الهيمنة الغربية على العالم العربي والإسلامي، يعيد فهم تلك الأيديولوجية المتطرفة وارتباطاتها الوثيقة بالغرب على أساس قومي إمبريالي؛ ومن ثم تجريدها من ادعاءاتها الدينية التي تستخدمها للتعبئة وإثارة العواطف، ويرسخ الفهم للعلاقة «الإسرائيلية» الغربية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص، إذ تخدم تلك الدولة الاستيطانية مصالح سياسية واقتصادية بالوكالة ومن ثم فهم التحيزات الفاضحة والفاحشة لكثير من الدول الغربية لذلك الكيان الاستيطاني والتعاطي معها بوعي وإدراك.

وقد منح الصراع الدائر الآن فرصة مهمة للمثقفين العرب نظراً لما تشهده الساحة الداخلية للكيان الصهيوني من صراعات سياسية وفكرية تعصف بالتوازن الداخلي والاستقرار الهش الذي يقوم عليه المجتمع «الإسرائيلي»، وهو ما يجدر توظيفه فكرياً عبر تسليط الضوء على المشروع الصهيوني وانحرافاته ومثالبه وما ينطوي عليه من قيم لا إنسانية غير قابلة للاستمرار.

وأخيراً، فإن سلاح الفكر لا يقل أهمية عن سلاح القوة العسكرية في هزيمة العدو، ودراسة الآخر لفهم دوافعه وقيمه ومنطلقاته وخلفياته المعرفية أمر ضروري لإدارة صراع قائم على الوعي والندية والفعالية، بعيداً عن الشعارات الشعبوية التي تخدم الآخر أكثر مما تخدم القضية.■

«طوفان الأقصى».. ومآلات المشروع الصهيوني

لا ريب في أن عملية «طوفان الأقصى» قد أحدثت زلزالاً كبيراً، له توابعه التي لم تنته بعد، في جميع المسارات التي تتصل بها؛ ومنها مآلات المشروع الصهيوني، ونستطيع أن نتبين إجمالاً أثر المعركة الجارية على هذا «المشروع»، من رد الفعل الجنوني الذي أصاب قادة الكيان وداعميهم، الذين لم يتورعوا عن ارتكاب المجازر الواحدة تلو الأخرى، وعن إبادة أوجه الحياة كافة في قطاع غزة، وعن التخطي بشظايا عدوانهم إلى دول الإقليم الداعمة للمقاومة؛ حتى لم يعد الكيان يبالي بأن يُتهم في أروقة المحاكم الدولية بارتكاب الإبادة الجماعية، ولا أن تتوالى ضده المظاهرات، وعلى نحو غير مسبوق، في عواصم الدول ذات الدعم التاريخي له!

فمن رد الفعل الجنوني هذا، وما بلغه من إسفاف وانحطاط في العدوان بلا كوابح، والقتل بلا رادع، والإبادة بلا سقف، نستطيع أن نتبين ما حدثته «طوفان الأقصى» من أثر وتأثير لدى هذا الكيان الغاصب؛ وإن كنا ما زلنا في مراحل التشكُّل والتفاعل.

وفي هذا المقال، نرصد بعضاً من مآلات المشروع الصهيوني في ضوء «طوفان الأقصى» وتأثيراتها، على ٣ مستويات: مستوى المشروع نفسه من الداخل، ومستوى علاقاته بدول الإقليم، ومستوى علاقاته بالدول الغربية.

السنوسي محمد

أولاً: في الداخل.. حان وقت الأسئلة المؤجلة:

الكيان الصهيوني وُلد مأزوماً من داخله، ذلك أنه كيان يفتقد التماسك الاجتماعي والرؤى الكبيرة التي تجمع أطرافه التي ظلت مبعثرة ومنقسمة على ذاتها، ما بين اليهود الأشكناز والسفارديم، والعلمانيين والمتدينين، والعسكريين والمدنيين، لكن لحظة اندفاعة المشروع، وقدرته على انتزاع نجاحات كبيرة بالتوسع والتمدد، الجغرافي تارة بعد هزيمة دول الطوق، والاقتصادي تارة أخرى بعد انطلاق قطار التطبيع؛ كل ذلك جعل أزمات الكيان التي ولدت معه تُرحَّل وقتاً بعد آخر، وتظل طيَّ التفاعل الممكن والحدود المستوعَبة.

لكن «طوفان الأقصى» جاءت لتجعل من هذه الأزمات أسئلة حالَّة لا مؤجلة؛ حتى رأينا، مثلاً، أن الهروب من مسألة تجنيد «الحريديم» لم يعد ممكناً، وأن الاستمرار في منحهم الامتيازات دون استحقاق يؤدونه بالخدمة في الجيش لم يعد محتملاً؛ فثمة واقع جديد فرضته المعركة بما أحدثته من عجز بشري في أفراد الجيش يجب تعويضه.

وبعد أن نجح نتنياهو (١١ يونيو الماضي) في تمرير قانون بالكنيست لصالح الحريديم، الرافضين للتجنيد، جاء قرار المحكمة العليا (٢٥ يونيو) بفرض تجنيدهم، ليقفز على هذا التمرير ويفرض واقعاً جديداً ما زالت تفاعلاته آخذة في التشكل! وتلك واحدة من أهم ما يواجهه المشروع الصهيوني على مستوى الداخل، بفعل «طوفان الأقصى».

كشف المعركة أيضاً هشاشة التماسك الداخلي، وفضحت ما يقال عن «أرض الميعاد»؛ فجاءت الهجرة العكسية (تقرير بوكالة «الأناضول»، في ١٧ ديسمبر ٢٠٢٣م، تحدث عن تقديرات لعددهم بمليون مهاجر خارج الكيان)، لتبين زيف وتهافت هذه المزاعم! فأيّ أرض ميعاد هذه التي تشبه فندقاً يمكن أن يغادره نزلاؤه بمجرد تعطل أي خدمة من خدماته؟!

ثانياً: في الإقليم.. تباطؤ «قطار التطبيع» والتفافه:

نشبت معركة «طوفان الأقصى» والكيان الصهيوني يستعد لترتيبات جديدة في الإقليم، يعقد فيها اتفاقيات سلام مع دول أساسية ذات طابع خاص، ويمتِّن علاقاته

ويفرض سيطرته بأكثر من ذي قبل، بعد أن تصبح علاقات ما تحت الطاولة أمراً معلناً ومبرَّراً.

فجاءت المعركة واضطر معها الكيان لإظهار وجهه الحقيقي الغاشم، الذي كان يحاول إخفاءه تحت ملمس ناعم وخطاب يبشِّر بآمال الرخاء للمنطقة؛ فانكشف الغطاء عن وجه قاتل عدواني وذئب فاتك لا يراعي حرمة ولا أخلاقاً، ولا يرتدع بقانون ولا مناشدات! مما وضع شركاء المستقبل في حرج بالغ، وأصاب قطار التطبيع بتباطؤ يحاول معه الالتفاف على ما حصل، من خلال الإعلان عن الاستعداد لإقامة علاقات مع الكيان بشرط إيقاف العدوان والتعهد بإقامة دولة فلسطينية.

وأمام هذه المحاولات التي لم تكف عن المضي في مخططاتها، وإن تعطلت قليلاً؛ أعلنت «حماس» على لسان القيادي أسامة حمدان أنها ترفض مقايضة حقوق الفلسطينيين بتطبيع العلاقات مع «إسرائيل» («الجزيرة»، ٧ فبراير ٢٠٢٤م).

لكن حتى لو مضى قطار التطبيع في مساره، فإن الشعوب العربية أصبحت بعد «طوفان الأقصى» أكثر وعياً بحقيقة هذا المشروع الصهيوني، وأكثر استحضاراً لحقيقة عدوانيته المتأصلة فيه؛ وبالتالي، تحتاج أطراف التطبيع بذل جهود مضاعفة للتستر على هذه الحقيقة الصارخة.

ثالثاً: في الغرب.. انكشاف الدور وتساؤل عن الدعم:

لا يخفى أن المشروع الصهيوني جاء في أساسه معالجة لـ«المسألة اليهودية» في الغرب، التي كانت تمثل خنجراً في خاصرة الشعوب الغربية وصداعاً مزمناً في رأسها؛ فجاء هذا المشروع ليؤدي دوراً وظيفياً متماساً مع مصالح الدول الغربية، وعلاجاً للمسألة التي تقض مضجعها من الداخل، لكن المفارقة أن هذه «المسألة اليهودية» وإن اختفت عقوداً بعد إنشاء دولة الكيان الغاصب، فقد عادت من جديد بفعل «طوفان الأقصى».

لقد جاء الدعم الغربي اللامحدود وذو التكلفة الضخمة ليجدد لدى الشعوب الغربية ما كان يقال عن «المسألة اليهودية»، وجدوى هذا الدعم، فضلاً عن أخلاقيته وصلته بما يرفعه الغرب من مبادئ حقوق الإنسان ورفض القتل والإبادة!

وعلى سبيل المثال، وافق مجلس النواب الأمريكي، في مطلع نوفمبر ٢٠٢٣م، على طلب إدارة الرئيس جو بايدن بتخصيص ١٤,٣ مليار دولار مساعدات لـ«إسرائيل» («الجزيرة»، ١٤ نوفمبر ٢٠٢٣م).

فالشعوب الغربية استفاقت على ميزانيتها التي تُستنزف لصالح «إسرائيل»، وعن أسلحة الغرب التي توظف في القتل والتدمير، وعن الحقوق الإنسانية التي ضلت طريقها للشعب الفلسطيني؛ فثارت التساؤلات التي كانت توارت لعقود، وعبّرت الحركة الطلابية حتى في جامعات النخبة، عن بقية حياة لدى ضمير الإنسان الغربي، وجاءت المظاهرات الضخمة خاصة في العواصم ذات الدعم التاريخي للكيان لتمثل إحراجاً للحكومات الغربية، وأصبحت غزة حاضرة في الانتخابات الأوروبية والأمريكية، ونجحت جامعات كثيرة في إيقاف برامج التعاون المشتركة مع نظيرتها داخل الكيان أو مع وزارة الدفاع فيه، وأصبح القمع الممارس لوقف احتجاجات الطلاب مدعاة للتساؤل الجاد عن الدعم الغربي للكيان.

وكمؤشر على فعالية هذا الحراك الغربي الشعبي، اضطر نتنياهو، ولأكثر من مرة -منها في خطابه بالكونجرس، في ٢٤ يوليو الماضي- لمهاجمة المظاهرات الأمريكية الداعمة للحق الفلسطيني؛ وهو هجوم يدل على شعور الكيان بالقلق لفقده مساحات تأثير تقليدية، لكنه يفتقد الكياسة، ويفضح علاقات المصالح التي تربط الكيان بحكومات هذه الدول.

صحيح أن المظاهرات الغربية، رغم تواصلها واتساع رقعتها، لم تنجح في الضغط بدرجة كافية لإيقاف العدوان؛ لكن ما حققته من إثارة التساؤلات عن «المسألة اليهودية»، وفضح العلاقات غير الصحية بين حكوماتهم والكيان، واختبار المبادئ الغربية عن حقوق الإنسان ورفض العنف؛ يمثل مكتسبات ليست بالقليلة، ومرشَّحة للتصاعد.

لقد جاءت «طوفان الأقصى» في لحظة حرجة للكيان الصهيوني، وستكون لها تداعيات كبيرة وعلى عدة مستويات؛ بما يجعل المشروع الصهيوني أمام تحديات حقيقية حتى وإن حاول أن يخفيها بقوته الغاشمة، وعنفه المفرط، والتفافه المراوغ.■

«طوفان الأقصى» كشفت هشاشة التماسك الداخلي وفضحت أكذوبة «أرض الميعاد» فكانت الهجرة العكسية

قطار التطبيع يحاول الالتفاف على إقامة علاقات مع الكيان بشرط إيقاف العدوان وإقامة دولة فلسطينية

الشعوب الغربية استفاقت على ميزانيتها التي تُستنزف لصالح «إسرائيل» وأسلحة الغرب التي توظف في القتل

«إسرائيل» في مرآة صحافتها..

«طوفان الأقصى» تفكك المجتمع «الإسرائيلي»

د. مصطفى حسانين نصار

لست بحاجة للتأكيد على أن «طوفان الأقصى» أنزلت بالكيان الصهيوني الإجرامي هزيمة مدوية، وألحقت به خسائر فادحة على مختلف الأصعدة، وقد حظيت وقائع هذه الحرب، وما زالت، بأبعادها على كافة الأصعدة وانعكاساتها السلبية الخطيرة على الكيان الصهيوني؛ بتغطية موسعة على مدار الساعة، باستثناء الجانبين النفسي، والاجتماعي أو المجتمعي؛ المتمثلين في الهزة النفسية العنيفة التي عصفت بـ«الإسرائيليين»، والشروخ العميقة التي ضربت بنية مجتمعهم في مقتل؛ حيث لم يحظَ هذان الجانبان بالتغطية التي تتناسب مع أهميتهما البالغة وخطورتهما وعِظم شأنهما في هذا الإطار؛ من هنا كان هذا المقال الذي يستقي مادته الأساسية من الصحف «الإسرائيلية» ذاتها؛ متناولاً إياها بالتحليل والربط والاستنتاج.

١- تفكك بنية المجتمع «الإسرائيلي»:

مثّلت «طوفان الأقصى» زلزالاً عنيفاً خلخل البنية العضوية للمجتمع «الإسرائيلي» وصلت إلى حد تشقق لَبِناتها ووضع مكوناتها في حالة من التخبط والتضارب، وهو ما ينعكس بكل وضوح من الكتابات التي هي في الحقيقة صرخات مدوية أطلقها كبار الكتَّاب والمحللين والشخصيات «الإسرائيلية» المعروفة في الشهور الأخيرة؛ على صفحات الجرائد والمواقع الإلكترونية «الإسرائيلية»؛ معبّرين من خلالها عن هذ الوضع البائس، ومحذرين من تداعياته المصيرية الخطيرة في القريب العاجل، وهذه بعض منها:

- تحت عنوان «بينما تواصل إسرائيل انهيارها: نتياهو مستمر في بيع الأكاذيب الخسيسة للجمهور»، كتب اللواء احتياط يتسحق بريك مقالاً جاء فيه: الكراهية المشتعلة داخل «إسرائيل» التي تتعمّق مع استمرار الحرب؛ بين اليمين واليسار، وبين المتدينين والعلمانيين، وبين العرب واليهود؛ تُقوِّض الدولة من الداخل. (معاريف ٢٥/ ٧/ ٢٠٢٤م).

- يقول بن كسبيت، أحد أهم محللي صحيفة «معاريف»، على صفحات عددها الصادر يوم ٣٠/ ٧/ ٢٠٢٤م: «إسرائيل» ليست على حافّة الفوضى، بل هي في حالة فوضى فعلاً؛ فمقاطع الفيديو التي تُظهر عشرات أو مئات المواطنين يحاولون اقتلاع بوابات القواعد العسكرية، في حين يقف الجنود النظاميون، على الجانب الآخر محرجين، ويحاولون منعهم، هي رمز تفككنا.. إن ملاك الخراب على بُعد خطوة من إنهاء مهمَّته؛ التدمير النهائي والكامل للحلم الصهيوني.

بل وصل الأمر إلى تعليق صور جدارية ذات مغزى في هذا الإطار في ميادين «تل أبيب»؛ التي نشرتها شبكة «فوكس» الإخبارية، التي تحمل نداء تحذيرياً لأبناء المجتمع «الإسرائيلي»؛ إذ يقول مضمون كلماتها التي قُرئت بصورة للقائد البطل يحيى السنوار: «فكّروا جيداً فيمن يُفيد من انقسامنا».

٢- سيطرة الرعب وتدني المعنويات:

من أهم الخسائر التي ألحقها مجاهدونا في غزة بـ«الإسرائيليين» أيضاً؛ زرع الرعب في قلوبهم، وإصابتهم بحالة من الذعر والهلع؛ تبدّت على وجوههم، وانعكست في أحاديثهم

«طوفان الأقصى» خلخلت البنية العضوية للمجتمع «الإسرائيلي» وصلت إلى حد تشقق لَبِناتها

النهاية الكاملة والأبدية للكيان الصهيوني لا بد أن تسبقها تطورات جذرية على الساحة العالمية

وتخبطاتهم، والأهم والأخطر أن حالة الذعر هذه عصفت بنفوس الآلاف من جنود جيشهم وضباطه، ويكفي أن نقرأ ما كتبه د. إيتان هايعام، المدير العام السابق لوزارة الصحة: «بعد مرور ما يقرب من ١٠ أشهر على اندلاع حرب «السيوف الحديدية»، تشير البيانات الصادرة عن الأجهزة الصحية والأمنية إلى أن حوالي ١٠ آلاف جندي في الخدمة النظامية والاحتياطية تعرّضوا لصدمات نفسية من الحرب الحالية ولجؤوا إلى الحصول على المساعدة النفسية.

ويضيف: ومن المتوقَّع أن تواجه «إسرائيل»، إلى نهاية الحرب وما بعدها، ما بين مليون ونصف مليون إلى مليوني شخص يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة، والمشكلة أننا قد لا نعرف عن العديد منهم على الإطلاق. (معاريف، ٥/ ٨/ ٢٠٢٤م).

كما تعرّض شبابهم وأطفالهم إلى صدمات نفسية لا تقل خطورة؛ شغلت الرأي العام المتصدع المذعور، ودوّت أصداؤها في صفحات جرائده، بل إن حالة الهلع والشعور بالضياع التي أصابت المدنيين أيضاً؛ دفعت نسبة كبيرة منهم إلى اللجوء إلى تعاطي المواد المخدرة والمهدئة وإدمانها؛ حيث ارتفعت نسبة مدمني هذه المواد بشكل كبير بعد أهوال «طوفان الأقصى».

وقد أوردت وكالة «فرنس برس» تقريراً في هذا الخصوص؛ جاء فيه: «ارتفع استهلاك المخدرات وازداد السلوك الإدماني في «إسرائيل» بشكل حاد بعد الهجوم غير المسبوق الذي شنته حركته «حماس»، في ٧ أكتوبر، بحسب العاملين في مجال الصحة، وقال الطبيب النفسي شاؤول ليفران، مؤسس المركز «الإسرائيلي» للإدمان والصحة النفسية في نتانيا: في رد فعل طبيعي على الضغط النفسي وبحثاً عن الراحة، نشهد ارتفاعاً كبيراً في تناول مختلف المواد المهدئة المسبّبة للإدمان، سواء كانت أدوية عبر وصفة طبية أو مخدرات غير مشروعة أو كحول، وأحياناً في السلوك الإدماني مثل لعب القمار. (فرانس برس ١١/ ٨/ ٢٠٢٤م).

٣- الهجرة العكسية وانهيار صورة الوطن الآمن:

كنتيجة طبيعية للأوضاع العامة البائسة في الكيان الغاصب من ناحية، وبحكم طبيعة تكوينه كوطن وهمي مصطنع لا يحمل له أبناؤه أي انتماء أو ولاء، إلا بقدر ما يحقق مصالحهم الدنيوية المادية المتغيرة، في علاقة نفعية غريبة وفريدة بين الطرفين من ناحية أخرى، فقد أدّت «طوفان الأقصى» إلى ظهور هجرة عكسية، من داخل الكيان إلى خارجه، وهو ما تناقلته وسائل إعلامهم بشكل لافت.

ففي ٢٣ يونيو الماضي؛ كتب تاني جولدشتين، على موقع «زمن يسرائل»: في الشهور الأخيرة نشرت وسائل الإعلام عدداً كبيراً من المقابلات مع مواطنين يهود وعرب؛ صرحوا بأنهم قرروا مغادرة البلاد؛ من بينهم نازحون من منطقة غلاف غزة والحدود الشمالية.

وفي السياق ذاته كتب الأديب «الإسرائيلي» ب. ميخائيل، مقالاً تخيّل فيه أنه زار قبر هرتسل؛ فوجده قد حفر نفقاً وخرج منه ليهرب عائداً إلى قبره الأصلي في فيينا، الذي نُقل منه إلى القدس قبل ٧٥ عاماً، ثم دار بينهما حوار مطول، وصف فيه ميخائيل «إسرائيل» بأوضاعها الحالية، على لسان هرتسل بهذه الكلمات: سلة مهملات من العنصرية، والقومية، والعسكرية، والكراهية، والتعصّب الديني، والتمييز ضد النساء، والوثنية، والقسوة، والاستبداد، والفساد. حاخامات في الثكنات وجنرالات في المعابد. (هآرتس، ١٤/ ٨/ ٢٠٢٤م).

إن جميع هذه الشواهد والأحداث تبيّن لنا إلى أي درجة وصل المجتمع «الإسرائيلي» من التفكك والتضارب والتخبط، وإلى أي حد سكن الخوف قلوب «الإسرائيليين» وملأ الذعر نفوسهم، ويشكل هذان العاملان، بالإضافة إلى خسائرهم البشرية؛ أهم وأخطر خسائر هذا الكيان المحتل في الحرب الحالية، بل إن مغزى خسائره الفادحة في هذه الأبعاد الثلاثة وعواقبها الفعلية الوخيمة المرتقبة قريباً؛ تفوق ما يترتب على خسائره العسكرية العينية، والاقتصادية.

إنها بداية النهاية لهذا الكيان الإجرامي، لكن مع هذا، ولكي نُنزل الأحداث منزلتها، ونضع الأمور في ميزانها الصحيح؛ علينا أن نعلم أن النهاية الكاملة والأبدية لهذا الكيان لا بد أن تسبقها تطورات جذرية على الساحة العالمية، تقلب أوضاع داعميه الكبار إلى الأسفل، وتزيل أقدامهم من مواقعهم المتحكمة المتغولة المتغلغلة، كما لا بد أن تسبقها أيضاً تطورات إيجابية في أوضاع العالم الإسلامي؛ بتوجهات بلدانه ومواقفها وأحوالها بوجه عام، لا سيما الجزء العربي منه.■

تأثير الانهيار الاقتصادي الأمريكي على دعم الكيان الصهيوني ومستقبله

محمد جمال عرفة

حينما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى، كان دَيْنها المالي نحو ١٠% من الناتج المحلي الإجمالي، ومع دخولها الحرب العالمية الثانية، ارتفع الدين لنحو ٤٠% من الناتج المحلي الإجمالي، ومع خروجها من الحرب العالمية الثانية، قفز حجم الديون الأمريكية من الناتج المحلي الإجمالي إلى ١٢٠%، لكن الآن، أن أمريكا، وبدون دخولها أي حرب، بلغ حجم ديونها نسبة للناتج الإجمالي ١٣٠%!

يعني هذا أن الولايات المتحدة لا تستطيع في الوقت الراهن تحمل زيادة إنفاق الميزانية على أي شيء، سواء كان زيادة في ميزانية الجيش، أو حرباً كبرى، أو حتى تحديثاً للبنية التحتية للبلاد؛ حيث يشكل جبل الديون هذا أرضاً خصبة للمشكلات الاقتصادية، بما في ذلك ارتفاع التضخم، وانخفاض نوعية الحياة، وفي أسوأ السيناريوهات زعزعة استقرار النظام المالي الأوسع، وفقاً لموقع «بيزنس إنسايدر».

ومع هذا أنعمت أمريكا على دولة الاحتلال الصهيوني بأكبر دعم ممكن خلال حرب عدوانها على غزة، حيث أقرت لها حزمة مالية طارئة -بخلاف الحزم المالية المعتادة- بقيمة ١٤ مليار دولار، منها ٣,٥ مليارات تسلمتها، في ٩ أغسطس ٢٠٢٤م، وهذا بخلاف المساعدات العسكرية بلا حساب، وفتح مخازن السلاح الأمريكية في «إسرائيل» ليغرف منها العدو ويقتل أهالي غزة، وتكاليف تحريك الأسطول الجوي والبحري لحماية دولة الصهاينة.

وقال الخبير الاقتصادي الدولي في مجال النفط والطاقة د. ممدوح سلامة: إن الدعم الأمريكي منع انهيار الاقتصاد «الإسرائيلي» الذي خسر ٢٠٠ مليار دولار بسبب هذه الحرب، لكن المفارقة أن كل هذا يحدث في وقت يعاني فيه الاقتصاد الأمريكي أصلاً من مشكلات كبيرة، ظهرت في ضربة البورصات العالمية الأخيرة، كما يعاني المجتمع الأمريكي من درجة كبيرة من الترهل والكسل والاستهلاك.

وقد حذر الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترمب، في ٩ أغسطس ٢٠٢٤م، من أن بلاده في أخطر وضع ممكن الآن اقتصادياً وأمنياً، وقال محذراً: إننا قريبون جداً من حرب عالمية بسبب الاقتصاد، إن الولايات المتحدة باتت قريبة من الكساد الاقتصادي.

أصوات ترتفع بأمريكا رافضة لدعم «إسرائيل» بالمال والسلاح وتفضيلها على مصالح المواطن

هذا الانهيار الاقتصادي يتوقع أن ينعكس بلا شك على الدعم الأمريكي للدولة الصهيونية عاجلاً أو أجلاً، خاصة أن الأصوات بدأت ترتفع في أمريكا رافضة لدعم «إسرائيل» بالمال والسلاح وتفضيلها على مصالح المواطن الأمريكي الذي يعاني من البطالة، فالمظاهرات التي شهدتها المدن الأمريكية المختلفة كانت مؤشراً واضحاً لهذا الرفض في تحكم اللوبي الصهيوني بالقرار الأمريكي وتفضيل حكام البيت الأبيض أو الكونجرس مصالح «إسرائيل» على مصالح الأمريكيين.

وقد نجح طلاب أمريكا في إجبار جامعاتهم على وقف استثماراتها (أموال أوقافها) في «إسرائيل» أو شركات تدعمها؛ ما أفقد الاحتلال جانباً مهماً من عوائد هذه الاستثمارات أو أوقاف الجامعات الأمريكية التي تقدر بـ٨٣٩ مليار دولار، وفق صحيفة «واشنطن بوست»، في ٢٥ أبريل ٢٠٢٤م.

ورفع طلاب أغلب الجامعات الأمريكية عرائض ولافتات وأصدروا بيانات تطالب بوقف استثمارات خاصة بجامعاتهم أو حكومتهم تذهب بعض عوائدها لجيش

الاحتلال وحكومة «تل أبيب»، وبما يدعم العدوان على غزة وإبادة أهلها.

وما أزعج الاحتلال الصهيوني أن حملة المقاطعة هذه بدأت تؤتي ثمارها، فقد قررت جامعة يورك البريطانية إنهاء علاقاتها المالية مع الشركات المصنعة للسلاح التي تقدم ذخيرتها لجيش الاحتلال، واستبقت جامعة بورتلاند الاحتجاجات المؤيدة لسحب الاستثمارات من الحرم الجامعي، وقررت في رسالة بعثت بها إلى أعضاء هيئة التدريس والطلاب وقف قبول أي تبرعات للجامعة من شركة «بوينج» لأنها مشاركة في آلة الحرب «الإسرائيلية».

وجاء هذا النجاح لحملة المقاطعة بعدما وصل عدد الجامعات المعتصمة من أجل فلسطين والمطالبة بوقف أي استثمارات أمريكية في «إسرائيل» أو دخول جامعاتهم في استثمارات مع شركات تدعم «إسرائيل» إلى قرابة ٧٥ جامعة.

كفى دفاعاً عن «إسرائيل»

الانهيار الاقتصادي الأمريكي وأثره على الشعب دفع أمريكيين لرفع شعارات «كفى لدعم إسرائيل من أموال ضرائبنا»، وأكدت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية أن استطلاعاً للرأي، نشر في ٦ أغسطس ٢٠٢٤م، أظهر معارضة أغلبية الأمريكيين إرسال قوات للدفاع عن «إسرائيل» في حال تعرض الأخيرة لهجوم من الدول المجاورة لها، وهو ما يمثل تغييراً في الرأي العام.

استطلاع الرأي الذي أجراه مجلس شيكاغو للشؤون العالمية أظهر أن ٥٥% من الأمريكيين عارضوا إرسال قوات أمريكية للدفاع عن «إسرائيل» إذا هاجمها جيرانها، بينما أيد ٤١% القيام بذلك؛ هذا يعني أن تأييد الأمريكيين لإرسال قوات إلى «إسرائيل» انخفض إلى أقل نسبة خلال أكثر من عقد من الزمن، وفق الصحيفة.

وفي ٢ أغسطس ٢٠٢٤م، شهدت البورصة الأمريكية انهياراً كبيراً، وتبعه انهيارات في البورصات العالمية، وحالة

استطلاع: معارضة أغلبية الأمريكيين إرسال قوات للدفاع عن «إسرائيل» في حال تعرضها لهجوم

«إسرائيل» أكبر متلقٍّ للمساعدات الأمريكية حيث بلغت بين عامي ١٩٤٦ و٢٠٢٣م نحو ١٥٨,٦ مليار دولار

ذعر شديدة في بورصات الولايات المتحدة وبريطانيا ودول منطقة اليورو واليابان والصين ومصر ومنطقة الخليج، وأظهرت إحصائية حديثة مشكلات كبيرة في سوق العمل الأمريكية، وارتفع معدل البطالة من ٤,١% إلى ٤,٣% وفق صحيفة «الغارديان» البريطانية، في ٦ أغسطس ٢٠٢٤م.

وتعد «إسرائيل» أكبر متلقٍّ للمساعدات الخارجية الأمريكية، حيث بلغت المساعدات الإجمالية المقدمة من الولايات المتحدة لـ«إسرائيل» فيما بين عامي ١٩٤٦ و٢٠٢٣م نحو ١٥٨,٦ مليار دولار، وفق الأرقام الرسمية الأمريكية، لكن بحسب بيانات «الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية»، فإن حجم المساعدات أكبر بكثير مما جاء في التقديرات الرسمية، إذ وصل إجمالي المساعدات الأمريكية الملتزم بها لـ«إسرائيل» في الفترة ذاتها نحو ٢٦٠ مليار دولار.

ومعظم المساعدات الأمريكية لـ«إسرائيل» عسكرية، حيث بلغ حجمها فيما بين عامي ١٩٤٦ و٢٠٢٣م، بحسب التقديرات الأمريكية الرسمية، نحو ١١٤,٤ مليار دولار، إضافة إلى نحو ٩,٩ مليارات دولار للدفاع الصاروخي (منظومة القبة الحديدية).

اللوبي الصهيوني

ولا يعكس حجم الدعم السياسي والمساعدات الخارجية الأمريكية لـ«إسرائيل» مقدار الاهتمام الذي توليه الإدارات الأمريكية المتعاقبة لتثبيت وجود دولة الاحتلال في الشرق الأوسط، التي تعتبرها الولايات المتحدة شريكاً حيوياً في المنطقة، تجمعها به أهداف إستراتيجية مشتركة فقط، ولكنه يعكس أيضاً حجم تغلغل اللوبي اليهودي في القرار الأمريكي، أو حكم «إسرائيل» لأمريكا وليس العكس؛ حيث تشير تقديرات أمريكية إلى أن اللوبي «أيباك» ينفق ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليون دولار سنوياً لشراء السياسيين الأمريكيين.

وقد خصص هذا اللوبي الصهيوني ١٠٠ مليون دولار لتشويه وإسقاط حوالي ٧ نواب في الكونجرس الأمريكي في انتخابات عام ٢٠٢٤م بحسب موقع «الديمقراطية الآن»، في يناير ٢٠٢٤م، يسميهم «فرقة غزة» بسبب رفضهم العدوان «الإسرائيلي».

ونجح بملايين الدولارات في إسقاط بعضهم، مثل النائب جمال بومان، والنائبة كوري بوش، لأنهم يساهمون في منع الدعم الأمريكي لـ«إسرائيل»، ويطالبون بوقف إهدار أموال أمريكا على «إسرائيل»، بينما الشعب الأمريكي في حاجة ماسة لها في ظل الانهيار الاقتصادي المستمر.

لذا، هددت نائبة الكونجرس الداعمة لغزة كوري بوش بإسقاط هذا اللوبي الصهيوني قائلة: «أنا قادمة لهدم مملكتكم»، وسط حالة من الرفض الشعبي المتزايد للدعم الأمريكي لـ«إسرائيل» على حساب الانهيار الاقتصادي الذي يعاني منه أمريكيون.■

استنزاف اقتصاد دولة الاحتلال الصهيوني مع استمرار العدوان

لم يتوقع الاحتلال أن تستطيع المقاومة الفلسطينية الصمود طيلة الأشهر الماضية، وقد أدى استمرار العدوان «الإسرائيلي» إلى خسائر فادحة، إن من حيث الخسائر العسكرية المباشرة في قوات الاحتلال، أو من حيث الآثار الكارثية للحرب على اقتصاد دولة الاحتلال.

ونسط الضوء في هذا المقال على جملة من المعطيات التي تكشف هشاشة الاقتصاد في دولة الاحتلال، وحجم الخسائر التي تكبدتها قطاعاته المختلفة، التي وصفتها مصادر عبرية في بداية العدوان بأنها «غير مسبوقة»، خاصة بأن تكلفة الحرب تجاوزت ٦٠ مليار دولار، وتشمل هذه الأرقام النفقات العسكرية والمدنية، وإعادة الإعمار في المناطق المتضررة داخل «إسرائيل».

ويُشير خبراء في الاقتصاد «الإسرائيلي» إلى أن المساعدات الغربية تتركز عند الدعم العسكري، ولا تتجه إلى الاقتصاد، الذي شهد خسائر ضخمة قدرها المصرف المركزي «الإسرائيلي» بنحو ٢٦٠ مليار شكيل (٧١ مليار دولار) حتى مارس ٢٠٢٤م.

علي إبراهيم

تفاقم عجز الموازنة وتراجع النمو وانهيار الشيكل:

منذ بداية العدوان بدأت سلطات الاحتلال المالية بالتلويح بأن موازنتهم ستعاني، ففي ٢ نوفمبر ٢٠٢٣م أعلن وزير المالية بتسلئيل سموتريش عن ارتفاع عجز الموازنة من ١,٥%، إلى ٤% مع نهاية عام ٢٠٢٣م، على أن يصل العجز إلى ٥% في عام ٢٠٢٤م، وقد انعكست بشكل مباشر على التصنيف الائتماني للاحتلال، فقد خفضت وكالة «موديز» التصنيف الائتماني لدولة الاحتلال إلى «إيه ٢» مع نظرة مستقبلية سلبية، أما وكالة «ستاندرد آند بورز» فقد توقعت بأن العجز الحكومي لدولة العدو سيتسع خلال عام ٢٠٢٤م إلى ٨% من الناتج المحلي الإجمالي، مقارنة بـ٥,٥% في عام ٢٠٢٣م، وأعلنت عن تغييرها من «مستقرة» إلى «سلبية»، وأشارت الوكالة إلى أن استمرار الحرب سيعني تأثيراً أوسع وأكثر وضوحاً.

أما الشيكل فقد شهد منذ بداية العدوان خسائر كبيرة، ففي الأيام الأولى للحرب خسر نحو ١٠% من قيمته، حتى وصل إلى أدنى مستوى له منذ ٨ أعوام، وأشارت هذه المصادر إلى أن الحفاظ على سعر الصرف، وتحسنه بشكلٍ طفيف في الأيام التالية لانطلاق العدوان على غزة، ناتجٌ عن تخصيص المصرف المركزي «الإسرائيلي» ما يناهز قيمته ٣٠ مليار دولار من العملات الأجنبية لبيعها في السوق، في محاولة لدعم الشيكل، وقد انعكس هذا التذبذب في أسعار السلع وحياة المستوطنين.

آلاف الشركات «الإسرائيلية» في مهبّ الطوفان:

ربما تكون الشركات «الإسرائيلية» الضحية الثانية لاستمرار العدوان على القطاع، فمن جهة أثر عليها استدعاء جنود الاحتياط وتوقف أعمالها بشكل كليّ أو

جزئي، إضافة إلى تأثرها بتطورات المشهد إن في «الجبهة الشمالية» وتوقف الملاحة البحرية في البحر الأحمر، وغيرها من التطورات، وبحسب معطيات شبه رسمية، فقد أغلقت ٧٢٦ ألف شركة «إسرائيلية» أبوابها منذ بداية العدوان على غزة، وتتوقع هذه المصادر وصول عدد الشركات المغلقة إلى ٨٠٠ ألف في نهاية عام ٢٠٢٤م.

ويشكل القطاع التكنولوجي واحداً من أبرز القطاعات الاقتصادية في دولة الاحتلال، ومع استدعاء نحو ٣٠٠ ألف من قوات الاحتياط في بداية العدوان، كشفت المعطيات بأن ما بين ٧٥ و١٠٠ ألف جندي من بينهم من العاملين في شركات التكنولوجيا المحلية، وهو ما يشكّل ما بين ١٥% إلى ٢٠% من مجمل العاملين في هذا القطاع؛ ما ضرب قدرة القطاع على استمرار عمله، ومع تراجع قدرة هذه الشركات على إيجاد التمويل اضطرت أكثر من ٧٠% منها إلى تأجيل أو إلغاء مشاريعها.

ولم تقف الآثار عند الشركات «الإسرائيلية» فقط، فقد تراجعت الاستثمارات الأجنبية المباشرة بنسبة ٤٠%، من ٢٥ مليار دولار في عام ٢٠٢٣ إلى ١٥ مليار دولار في النصف الأول من عام ٢٠٢٤م، وأشارت المعطيات إلى أن العديد من الشركات العالمية انسحبت من دولة الاحتلال

«ستاندرد آند بورز»: العجز الحكومي سيتسع خلال عام ٢٠٢٤ إلى ٨٪ مقارنة بـ٥,٥٪ في ٢٠٢٣م

بشكل كامل أو جزئي.

هل تأثرت حياة المستوطنين ومعيشتهم؟

لا شك بأن المعطيات السابقة وما يتصل بها من خسائر في قطاعات الصناعة والتكنولوجيا والطاقة والبنوك والسياحة، أضرت بالظروف المعيشيّة للمستوطنين، فقد ارتفعت معدلات البطالة بشكل غير مسبوق، فارتفع معدل البطالة من ٤,٥% في يناير ٢٠٢٤ إلى ٦,٢% في يوليو ٢٠٢٤م، وهذا يعني فقدان مئات الآلاف من الوظائف.

أما نسب الفقر فقد تصاعدت هي الأخرى بشكل كبير، فبحسب المصادر

نحو ٧٢٦ ألف شركة «إسرائيلية» أغلقت أبوابها منذ بداية عملية «طوفان الأقصى» والعدوان على غزة

الاقتصاديّة تُعاني نحو ٨٥,١% من الأسر في دولة الاحتلال من نقص في الطاقة، ويعاني ٨١,٨% من هذه الأسر من الديون المتراكمة، أما معدلات الفقر فقد ارتفعت من ٢٢,٧% في عام ٢٠٢٣، إلى ٢٥,٣% في منتصف عام ٢٠٢٤م، وتُشير هذه الأرقام إلى أن أكثر من ربع السكان في دولة الاحتلال (لا تُشير هذه المصادر إلى الفروق ما بين المستوطنين والفلسطينيين القابعين تحت الاحتلال)، يعيشون تحت خط الفقر، وهو ما أسهم بتصاعد في معدلات الجريمة، والتي وصلت إلى ٧%.

أخيراً، وأمام هشاشة واقع دولة الاحتلال، فقد أسهمت هذه المعطيات والتفاصيل،

تراجع الاستثمارات الأجنبية ٤٠٪ من ٢٥ مليار دولار في ٢٠٢٣م إلى ١٥ ملياراً بالنصف الأول من ٢٠٢٤م

إلى جانب شعور المستوطنين بانعدام الأمن في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بمغادرة المستوطنين للأراضي المحتلة، لتشكل واحدة من أبرز نتائج عملية «طوفان الأقصى»، فقد كشفت مصادر عبرية بأن ٤٧٠ ألف مستوطن غادروا الأراضي المحتلة، منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ حتى بداية ديسمبر ٢٠٢٣م، بينما تُشير مصادر عبرية أخرى إلى أن هناك أكثر من ٦٠٠ ألف مستوطن غادروا قبل السابع من أكتوبر لقضاء العطلة خارج الأراضي المحتلة، وقرروا تمديد عطلاتهم بعد اندلاع المعركة.

وتُشير هذه المصادر إلى أن هناك أعداداً كبيرة من الجنود الشبان رفضت العودة للمشاركة في العدوان على القطاع.

وتُظهر البيانات انخفاضاً كبيراً في عدد المهاجرين اليهود إلى دولة الاحتلال، الذي بلغ نحو ٥٠% مقارنة مع المدة نفسها في عام ٢٠٢٣م؛ وهو ما يؤكد مجدداً أهمية عملية «طوفان الأقصى»، ودورها الكبير في رفع سوية المواجهة مع العدو، في تأكيد جديد على أن المعركة مع الاحتلال لا تقف عند جانب بعينه، وأن الإنجازات الميدانيّة في غزة تعضدها إنجازات أخرى، في العديد من المجالات والنواحي، قد تصل إلى تبديد فكرة «الأرض الآمنة» للمستوطنين في العالم.■

فتحت عملية «طوفان الأقصى» الباب على مصراعيه أمام أزمات وكوارث للكيان الصهيوني لم ولن تتوقف خلال الوقت الراهن فحسب، بل ستمتد آثارها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية إلى آماد طويلة، وهو ما كشفت عنه وسائل إعلام عبرية عدة طيلة الأشهر العشرة الماضية من خلال أرقام تثير قلق الكيان القائم على فكرة «الهجرة» في الأساس.

الهجـرة العكسيـة.. كابوس مزعج للكيان الصهيوني

د. خالـد سعيـد

بين فترة وأخرى، تخرج علينا هذه الوسائل لتؤكد أنه من بين الأزمات والمشكلات الاجتماعية التي ستتكبدها «إسرائيل» على مدى طويل، هي آثار ونتائج الهجرة العكسية، إذ لا ترغب نسبة كبيرة من «الإسرائيليين» منها في عدم العودة إلى الكيان الصهيوني مرة أخرى؛ فقد أفادت القناة الـ«١٢» العبرية في تقرير مطوَّل لها بارتفاع عدد الصهاينة الذين غادروا «إسرائيل»، بشكل دائم، بعد أحداث السابع من أكتوبر الماض؛ إذ نقلت عن مكتب الإحصاء المركزي «الإسرائيلي» زيادة نسبة الهجرة الدائمة بين «الإسرائيليين» إلى ٢٨٥% في الفترة من أكتوبر ٢٠٢٣ إلى مارس ٢٠٢٤م، مقارنة بالفترة نفسها من السابق، وذلك على خلفية عملية «طوفان الأقصى».

في تعليله لهذه الزيادة، أكد المركز الصهيوني أنه في الشهر التالي لاندلاع الحرب على غزة، غادر ٣٠ ألف «إسرائيلي» البلاد، بشكل دائم، ما يمثل انخفاضاً بنسبة ١٤% عن الفترة نفسها من العام السابق، فضلاً عن انخفاض بنسبة ٢١% في عدد «الإسرائيليين» العائدين من الخارج، مع عودة ٨٨٩٨ إلى «إسرائيل» بين أكتوبر ٢٠٢٣ ومارس ٢٠٢٤م، مقارنة بـ١١٢٣١ في العام ٢٠٢٢م.

تأثير حاد

الواضح أن نشر هذه الأرقام وتلك الزيادة المطردة في أعداد المهاجرين دون عودة، تعد من المرات النادرة التي يكشف فيها الكيان الصهيوني عن مثل تلك الأرقام؛ ما يؤكد حجم التأثير الحاد الذي خلَّفه هجوم السابع من أكتوبر داخل المجتمع «الإسرائيلي»، فضلاً عن السياسات المتطرفة واليمينية لحكومة بنيامين نتنياهو التي أصبحت تدفع أعداداً كبيرة من «الإسرائيليين» إلى مغادرة البلاد؛ خاصة أن تقرير مكتب الإحصاء المركزي قد قضى بزيادة عدد الصهاينة المغادرين بلادهم إلى الخارج في الأشهر التي سبقت الحرب، في ظل الاحتجاجات الحاشدة التي طالت خطة الحكومة للإصلاح القضائي، فقد سجلت «إسرائيل» زيادة بنسبة ٥١% في الفترة من يونيو إلى سبتمبر ٢٠٢٣ مقارنة بعام ٢٠٢٢م، وهي ذروة الاحتجاجات الداخلية ضد خطة نتنياهو للإصلاح القضائي.

زيادة نسبة الهجرة بين «الإسرائيليين» إلى ٢٨٥% في الفترة من أكتوبر ٢٠٢٣ إلى مارس ٢٠٢٤م

الغريب أنه على خلفية تلك الزيادة المطردة في أعداد المهاجرين دون عودة، اقترحت الحكومة الكندية على المواطنين «الإسرائيليين»، الهجرة إليها، على خلفية التصعيد الجاري في الجنوب بقطاع غزة، وفي الشمال مع «حزب الله» اللبناني، أيضاً؛ فقد عرضت كندا منح «الإسرائيليين» تأشيرة عمل أو دراسة بشكل مؤقت لمدة ٣ سنوات؛ إذ نقل الموقع العبري «واللا» عن مواطنة صهيونية هاجرت إلى كندا، في العام ٢٠١٩م، تدشينها لموقع إلكتروني لمساعدة الصهاينة الراغبين في الهجرة الفعلية إلى كندا، مؤكدة انتقال آلاف «الإسرائيليين»، فعلياً، منذ بدء عملية «طوفان الأقصى» إلى كندا، متوقعة وصول مئات العائلات الأخرى إلى كندا، بعد تمديد إمكانية الحصول على تأشيرة لمدة عام.

فقدان الأمان

والثابت أن أرقام الهجرة العكسية من الكيان الصهيوني على الواقع تفوق ما يتم الإعلان عنه من قبل مراكز الإحصاء في «تل أبيب»، بعد تقدير بعض المحللين بأن هذه الأعداد تتخطى المليون شخص، حيث لا تفصح «إسرائيل» عن الأرقام الحقيقية، مثلها كعدد الضباط والجنود الذين يسقطون قتلى خلال الحرب على غزة، فتبقى هذه الأرقام طي الكتمان وكأنها أسرار حرب، خاصة إذا قلنا: إن عدد «الإسرائيليين» الذي يمتلكون جواز سفر فرنسياً ارتفع بـ٤٥%، وهذا كله نتيجة لافتقاد الداخل الصهيوني للشعور بالأمان والثقة.

السبب نفسه أكده موقع «ALL JOBS» العبري، في ١٨ يوليو الماضي، من أن الوضع الأمني المتردي في الكيان وافتقار المستوطنين للشعور بالثقة في حكومة بلاده وعدم شعورهم بالأمان في «إسرائيل»، قد يدفع بحوالي ٦٢% من الصهاينة للتفكير في مغادرة «إسرائيل»، حيث لفت الموقع نفسه إلى أن هذا الرقم مثير للدهشة نتيجة لما أسماه بالكارثة الأمنية والاجتماعية التي يمر بها الكيان منذ السابع من أكتوبر الماضي، في ظل تزايد التضخم وارتفاع تكلفة المعيشة في البلاد.

وفي الوقت نفسه، أكدت صحيفة «يسرائيل هايوم» العبرية، في ٣١ يوليو الماضي، أن الكيان استقبل ٤٦ ألف مهاجر جديد فقط في العام ٢٠٢٣م؛ ما يمثل انخفاضاً بنسبة ٣٨% عن العام السابق، مع ملاحظة التراجع الحاد في أعداد المهاجرين إلى «إسرائيل»، حيث وصلها ١٦٠٠ مهاجر في الفترة بين أكتوبر إلى ديسمبر ٢٠٢٣م، وانخفاض العدد خلال النصف الأول من عام ٢٠٢٤م، بعد وصول حوالي ٢٧٠٠ مهاجر شهرياً، وهو عدد قليل نسبياً، مقارنة بالأعوام الماضية، بمعنى أن هناك حالة من التسارع في وتيرة الهجرة العكسية وإحجام كبير عن الهجرة إلى «إسرائيل»؛ وذلك كله نتيجة لاشتداد عود المقاومة في قطاع غزة.

تلك المقاومة التي أجبرت عشرات الأطباء النفسيين الصهاينة على الهجرة إلى بريطانيا دون رجعة، وهو ما أكدته صحيفة «هآرتس» العبرية، في ٣١ ديسمبر الماضي، يعني أثناء دوران عجلة الحرب على غزة، رغم تزايد الطلب «الإسرائيلي» على المساعدة في مجال الصحة النفسية في ظل الحرب، بالتوازي مع

الوضع الأمني المتردي وافتقار المستوطنين الثقة بالحكومة قد يدفع بحوالي ٦٢% مغـــادرة «إسرائيل»

الداخل الصهيوني في مرحلة تآكل وهشاشة والمقاومة نجحـت فـي تأجيـج الخلافات الداخلية

إشارة الصحيفة إلى أن قطاع الصحة النفسية في «إسرائيل» يعاني نقصاً حاداً في الأطباء النفسيين، منوهة إلى أنه يوجد في «إسرائيل» طبيب نفسي واحد في الخدمة العامة لكل ١١٧٠٥ من «الإسرائيليين».

خطر وجودي

قرار الهجرة العكسية وانتقال الصهاينة للحياة في الخارج لم يعد إلى الاضطرابات السياسية داخل الكيان الصهيوني أو لفساد حكومة نتنياهو، وإنما للصراع طويل الأمد في المنطقة والتخوفات من استهدافات فصائل المقاومة الفلسطينية ككل لكل ما هو صهيوني؛ وهو ما يتوافق مع القلق الوجودي من استمرار دولة «إسرائيل» نفسها على الأراضي الفلسطينية المحتلة؛ حيث أشار رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق إيهود باراك إلى بعض المعتقدات اليهودية التي تتحدث عن زوالها عند اكتمال العقد الثامن مثلما حدث في الممالك اليهودية السابقة.

الغريب أن تصريح باراك تزامن مع افتتاحية صحيفة «هآرتس» العبرية في ٧ يونيو الماضي، من أن السقوط النهائي للكيان الصهيوني مسألة وقت، لقد بدأ العد التنازلي، بدعوى تفشي حالة التوحش والافتتان بقوة التوحش والتطرف والعنف والإرهاب من قبل «الحريديم»، التي زادت خلال الفترة الماضية؛ وهو ما أكده إيهود أولمرت، رئيس الوزراء «الإسرائيلي» الأسبق أيضاً، حينما صرح بأن الخطر الأكبر الذي يهدد وجود «إسرائيل» هو التأثير المتزايد للتطرف اليهودي؛ بمعنى أن الداخل الصهيوني في مرحلة تآكل وهشاشة، والمقاومة الفلسطينية نجحت في تأجيج الخلافات الداخلية التي دفعت بدورها إلى الهجرة العكسية.■

اليهود و«لعنة العقد الثامن».. بين الأحداث التاريخية والنصوص الدينية

بدر الديـن حسيـن

تناولت النخب «الإسرائيلية» في الآونة الأخيرة موضوع «لعنة العقد الثامن» استشعاراً منها بدنو زوال دولة «إسرائيل»، مستندين إلى نبوءات دينية، وصيرورة تاريخية لازمت كيانات سياسية سابقة على أرض فلسطين تهاوت عند العقد الثامن من تأسيسها.

غير أن أوساطاً داخل حركة «حماس» أيضاً عزفت على ذات الوتر، قديماً وحديثاً، مستندة إلى نبوءات تتعلق بزوال دولة «إسرائيل» عند العقد الثامن، وإن اختلفت الزوايا والروايات عما ذهبت إليه النخب «الإسرائيلية».

ولكن جملة أسئلة تطرح نفسها هنا، عن ماهية «لعنة العقد الثامن» عند اليهود؟ وكيف تنظر «حماس» لذلك؟ وهل هنالك مؤشرات لزوال «إسرائيل» على الواقع؟ وما الأبعاد الدينية في هذه الرواية؟ وهل تشكل مآلات «طوفـــان الأقصـــى» مؤشراً بقـــرب نهاية «إسرائيل»؟

ولعلنا هنا بصدد البحث عن إجابات لكل هذه الأسئلة للوصول إلى حقيقة «لعنة العقد الثامن»، فالراجح أن «لعنة العقد الثامن» ترجع إلى رواية يكاد يتفق عليها المؤرخون لتاريخ اليهود، وتقوم على أن اليهود على مر التاريخ استطاعوا إقامة كيانين سياسيين لهما في أرض فلسطين، حيث تهاوى وسقط الكيانان عند بلوغ أي منهما العقد الثامن له.

رئيـس «الكنيست» السابـق: «إسرائيل» بنبذها للديمقراطية وإهدارهـا للقيـم الإنسانيـة فإنها تعجِّـل بنهايتهـا

حيث نشأ الكيان الأول عام ١٠٠٠ق. م، وهو كيان اليهود، الذي استمر زهاء ٨٠ عاماً تحت ملك داود، وسليمان، عليهما السلام، ومع وفاة سليمان بدأ هذا الكيان في التشظي والانقسام ثم التلاشي، فمع بداية العقد الثامن انقسم الكيان إلى جزأين؛ مملكة «إسرائيل» في الشمال وعاصمتها نابلس، ومملكة يهود في الجنوب وعاصمتها القدس، فلم يصمدا طويلاً حيث سقطتا في أيدي الآشوريين ثم البابليين.

أما الكيان الثاني فهو مملكة «الحشمونائيم» التي نشأت حوالي عام ١٤٠ق. م، وعند دخولها العقد الثامن أصابت الفوضى عموم المملكة؛ ما أدى لسقوطها.

لعنة العقد الثامن

وعلى مر التاريخ كان هذان النموذجان

الكيانين المستقلين لليهود على أرض فلسطين، إلى أن جاء العام ١٩٤٨م ليعود «الإسرائيليون» لاغتصاب الأراضي الفلسطينية واحتلالها لإقامة كيانهم الحالي، وما أن دخل الكيان «الإسرائيلي» الحالي بدايات العقد الثامن إلا وتعالت نبوءات رجال الدين على وجه الخصوص، والنخب السياسية والفكرية على وجه العموم، بأن نهاية دولة «إسرائيل» على وشك الوقوع.

فبالرغم من الحملات الصحفية التي قادتها أجهزة الإعلام «الإسرائيلية» المختلفة متهكمة من «لعنة العقد الثامن» سواء طرحت من قبل حاخامات يهود أو علماء مسلمين، فإن هوس البقاء والخوف من انهيار «إسرائيل» ظل هاجساً يؤرق «إسرائيل» بأثرها، فرئيس الوزراء الأسبق إيهود باراك يعد من أكثر الذين يتناولون

«لعنة العقد الثامن» شعور جمعي بأن الدولة نشأت على أساس من الظلم والاضطهاد وستواجِه الهلاك

هذه اللعنة، أينما أتاح له الإعلام فرصة، وظل مشدداً على أن الانقسام الداخلي وتفشي الكراهية المهدد الحقيقي لاستمرار «إسرائيل».

أما المؤرخ اليهودي بيني موريس، فإنه يرى أن «إسرائيل» لا مستقبل لها؛ لأن العرب أكثر عدداً من اليهود في المنطقة بين الأردن والبحر المتوسط، وهذا ما سيحدث الغلبة العربية في «إسرائيل»، وسيصبح اليهود أقلية؛ ما سيكتب نهاية الدولة اليهودية.

وفي كتابه «الانتصار على هتلر»، أشار أفراهام يورج، رئيس الكنيست «الإسرائيلي» السابق، أن الكيان «الإسرائيلي» بنبذه للديمقراطية وإهداره للقيم الإنسانية فإنه يعجِّل بنهايته، وشبه الكيان بألمانيا النازية.

وقد ظل الحاخامات اليهود يحذرون باستمرار من هذه اللعنة، موقنين بأنها حتمية الوقوع، حيث ذهبوا إلى أن عُمْر الدولة العبرية ٧٦ عاماً حسب نبوءات التوراة، وأن النصوص القديمة لحاخامات اليهود الأرثوذكس تقول: إن آخر زعماء الدولة العبرية هو «عطا الله» الذي يعني بالعبرية نتياهو! الشيء الذي أنشأ صراعاً خفياً بينهم وبين الآلة الإعلامية في «إسرائيل».

فإن كانت هذه اتجاهات النخب في «إسرائيل»، فإن المسلمين كانوا أكثر احتفاء بهذه اللعنة التي أرقت الكيان «الإسرائيلي»، فالمفكر الراحل د. عبدالوهاب المسيري، في عام ٢٠٠٨م، توقع زوال «إسرائيل» خلال ٥٠ عاماً، متوقعاً أن تتقهقر تحت وطأة إنهاك المقاومة الفلسطينية لها إلى أن تصل مرحلة الانهيار.

إلا أن الشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة «حماس»، في أبريل ١٩٩٨م، قد جزم بأن «إسرائيل» ستندثر في الربع الأول من القرن التالي، وتحديداً في العام ٢٠٢٧م، واستند في ذلك إلى أن القرآن أخبرنا أن الأجيال تتغير كل ٤٠ عاماً، فالجيل الأول كان جيل النكبة، والجيل الثاني جيل الانتفاضة والتحدي والقتال، والجيل الثالث سيكون جيل نهاية «إسرائيل».

وعلى ذات النحو خرج الناطق الرسمي لـ«كتائب القسام» أبو عبيدة، في ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٣م، ليعلن أن زمن أسطورة الجيش الذي لا يُقهر قد ولَّى، وأن المعركة الحالية فاصلة في تاريخ الأمة، وأن زمن انكسار الصهيونية قد بدأ، ولعنة العقد الثامن ستحل عليهم، فليرجعوا إلى توراتهم وتلمودهم ليقرؤوا ذلك جيداً، ولينتظروا أوان زوالهم بفارغ الصبر، فهل هذا الحديث يعني أن «حماس» شعرت بأن «إسرائيل» آيلة للسقوط، فالأفضل أن تهاجمها وتسقط بدلاً عن السقوط وحدها؟!

شعور جمعي

إن «لعنة العقد الثامن» لدى «إسرائيل» شعور جمعي بأن الدولة نشأت على أساس من الظلم والاضطهاد، وإن هذا البناء طال الزمن أم قصر سيواجِه الهلاك؛ لأن تعاقُب الأجيال سيعظّم المطالب ويغيّر الأساليب المتبعة من صاحب الحق، ويشكل خطراً في الجانب المغتصب؛ إذ إن مبررات الظلم التاريخي التي حدثت قد تكون غير مقنعة للجيل الثالث عند المغتصب.

أما عند المسلمين عامة، فإنه يشكل أملاً لزوال «إسرائيل»، وعند «حماس» كرت ضغط تستخدمه لإنهاك وإضعاف «إسرائيل»، خاصة أنها نفسياً تقع تحت تأثير هذه اللعنة، ولعل المقاومة اختارت الوقت المناسب لمعركتها «طوفان الأقصى» في هذا التوقيت ليس إيماناً بهذا التطير، ولكنّ استغلالاً له.

على الصعيد العملي، فإن على المسلمين عامة، والمقاومة الفلسطينية على وجه الخصوص، عدم الانشغال بـ«لعنة العقد الثامن»، وإنما التركيز على أسباب زوال «إسرائيل» التي بدأت معالمها تظهر في الداخل بعد اندلاع «طوفان الأقصى»، فالكيان يعاني الآن حالة من الضعف والانقسام الداخلي، وظهرت به حركات تمرد يقودها حاخامات متطرفون، وتتعالى

على المسلمين والمقاومة الفلسطينية عدم الانشغال بـ«لعنة العقد الثامن» بل التركيز على أسباب زوال «إسرائيل»

الأصوات يوماً بعد يوم بإقالة الوزراء والحكومة، ويتنامى الشعور بأن «إسرائيل» لم تعد الوطن الآمن؛ مما جعل نصف مليون «إسرائيلي» يغادرونها، حسب ما أوردته صحيفة «تايمز أوف إسرائيل».

كما أن مآلات الحال في «إسرائيل» بعد الحرب ستكون كارثية عليها؛ فستُولد حرب سياسية داخلية تغذيها بيئة اجتماعية ملتهبة، وتحيطها تحديات اقتصادية شاملة.

فأي واقع «إسرائيلي» أفضل من ذلك ينتظره المسلمون الذين يحتاجون جهداً مضاعفاً للوصول إلى محطة زوال هذا الكيان؟! فيتطلب منهم القيام بواجب نصرة المستضعفين في فلسطين، وعلى الأمة أن تتوحد في صعيد واحد ضد اليهود، لا مناصرتهم كما يحدث الآن.■

هل يهدد الدعم العالمي لفلسطين بقاء المحتل الصهيوني؟

ذهب مفكرون ومختصون تحدثوا لـ«المجتمع»، إلى أن الدعم العالمي للقضية الفلسطينية عامل ضاغط على الكيان الصهيوني ومستقبله، يتطلب استمرار النضال التراكمي المتواصل والدعم العربي والإسلامي والإقليمي، في ضوء تجارب دول ناجحة كفيتنام وجنوب أفريقيا، وبخاصة مع بدء ميلاد جيل في الغرب داعم للقضية الفلسطينية.

تحقيق – حسن القباني:

في البداية، يوضح السفير المصري السابق معصوم مرزوق، في حديث لـ«المجتمع»، أن الكيان الصهيوني خسر ما وصفه بـ«معركة الصورة»؛ بسبب الصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني ومقاومته، بالتزامن مع الدعم العالمي للقضية الفلسطينية؛ ما يعزز فرص انتهاء الاحتلال الصهيوني على المدى الإستراتيجي.

ويضرب المثال بمعركة إسقاط نظام الفصل العنصري بين البيض والسود في جنوب أفريقيا، أو ما يعرف بنظام «الأبارتايد»، كنموذج حي وملهم، يمكن الاقتداء به، لمواصلة الجهود العالمية والإقليمية في دعم فلسطين.

المثال الثاني الذي يضربه مرزوق تحرر فيتنام من الاحتلال الأمريكي، موضحاً أن معركة تحرير فلسطين مثل معركة فيتنام، تحتاج إلى النفس الطويل، والنضال التراكمي المستمر من الجميع، سواء في العمل العسكري أو الدبلوماسي أو الإعلامي أو الشعبي العربي والغربي.

ونفى أن تكون معركة فلسطين معركة «الضربة القاضية»، قائلاً: أنا متفائل بما تم، وما هو قادم، القضية تحركت للأمام، ونحن نقترب من تحقيق الاستقلال الكامل لفلسطين من البحر إلى النهر، والحكومات الصهيونية هذه المرة كشفت عن أياديها القذرة المليئة بالدماء التي كانت تخفيها فيما سبق بقفازات ناعمة ووجوه خادعة، وشعوب العالم كله عرفت الحقيقة.

ويعول مرزوق على استمرار الدعم العالمي لزوال الاحتلال بشرط تواصل الدعم الإقليمي من دول المواجهة أو دول الطوق، واستمرار المقاومة الفلسطينية في مسارها بصبر وتصرفات منضبطة وعلمية سواء في جبهة البندقية أو مسار المفاوضات السياسية، مقترحاً أن تدرس دول مصر وتركيا وإيران والسعودية الموقف جيداً وسريعاً لإنشاء تحالف سياسي إستراتيجي يواجه أطماع الكيان الصهيوني.

ويؤكد أن الاحتلال الصهيوني إذا لم يشعر بمساندة كاملة ومتواصلة للمقاومة، سيطور من جرائمه ضد الجميع، وإذا لم يشعر بتكاليف احتلاله لفلسطين سيلتهم المزيد ويوسع من دائرة جرائمه، خاصة بعدما كشف مسؤولون به عن تهديدات واضحة وصريحة لمصر ودول أخرى ما يستلزم تمام الاستعداد واستكمال دعم المقاومة الفلسطينية كخط أمامي مقاوم ومدافع عن الجميع يحتاج إلى كل دعم مباشر وغير مباشر.

جيل صاعد

من جانبه، يقول المفكر الفلسطيني المقيم بالقاهرة عبدالقادر ياسين، في حديث لـ«المجتمع»: إن الهوة واسعة بين الرأي العالمي الشعبي الغربي المتعاطف في أغلبيته مع القضية الفلسطينية وشعبها الصامد وأبطالها المقاومين، والحكومات الغربية المنحازة إلى الكيان الصهيوني في كل الأحوال.

بناء على تلك الهوة، يتوقع ياسين أن العالم أمام تحول بعد عقد من الزمان على الأقل، حيث سيصعد الجيل الذي خرج في مظاهرات الغرب الداعمة لفلسطين إلى سدة القرار في الغرب؛ ما يعزز التحول لصالح إنهاء الاحتلال الصهيوني في وقت لاحق بشرط استمرار العمل على الأرض.

ويحذر المفكر الفلسطيني أن يتواكل العرب والمسلمون على صعود هذا الجيل الغربي، فحسب، بل يطالب جميع أصدقاء فلسطين بمواصلة النضال التراكمي المتواصل

من أجل تعزيز نقاط القوة وتنحية نقاط الخلاف والضعف، وصولاً إلى تحقيق الانتصار المنتظر للقضية الفلسطينية بتحرير الأرض من البحر إلى النهر.

من جانبه، يؤكد المفكر المصري محمد عصمت سيف الدولة، مؤسس حركة «مصريون ضد الصهيونية»، في حديثه لـ«المجتمع»، أهمية التفريق بين الدعم العالمي والمجتمع الدولي، عبر توحيد الجهود في تعظيم الأولى وعدم اللامبالاة بالثانية بشكل كبير، موضحاً أن المجتمع الدولي هو مجتمع الأمريكيين، ومقرراته ليست سوى سياساتهم الخارجية.

ويضيف أن المجتمع الدولي شريك في تقسيم المنطقة العربية كغنائم حرب منذ الحرب العالمية الأولى، وزرع دولة الاحتلال في المنطقة، ووقف وما زال كحائط صد لحماية الكيان الصهيوني، بكل السبل الممكنة، ولذلك السبيل الوحيد لإنهاء الاحتلال هو استمرار الدعم العالمي للقضية حتى انتهاء الاحتلال، ولن يحدث ذلك إلا بسبيل وحيد هو التمرد على الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها.

ويشير سيف الدولة إلى الانتفاضة الأمريكية التي قادها الطلبة مؤخراً دعماً للقضية الفلسطينية، كانت نموذجاً مهماً في سبيل التمرد الداخلي الأمريكي على سياسات البيت الأبيض، مؤكداً أنها كانت فرصة مهمة، لها ما بعدها، لعرض الحقائق التاريخية والمطالبة بكامل الحقوق الفلسطينية في مواجهة الأكاذيب الصهيونية التي سيطرت على الرأي العام الغربي لعقود طويلة.

ويوضح أن هذه هي رابع انتفاضة شعبية أمريكية كبرى بعد النضال ضد حرب فيتنام وضد اضطهاد الزنوج وضد المكارثية، ومن المهم البناء عليها فيما هو قادم، بحيث لا يسمح أنصار القضية الفلسطينية بخفوت الأمر مجدداً بعد توقف العدوان الحالي.

ويرى سيف الدولة أن العدوان الحالي سيتوقف عاجلاً أو آجلاً، دون زوال الاحتلال في هذه الجولة، ما يتطلب حشد كل أحرار العالم، خلف مطلب واحد هو استمرار الوقوف خلف فلسطين بعد توقف العدوان في كل المحافل والمواقع والمسارات؛ ضغطاً وحركة ونضالاً شاملاً داعماً إلى حين زوال الاحتلال بالتمام والكمال عن الأراضي الفلسطينية.

عامل ضغط

من جانبه، يرى المحامي والحقوقي محمد أبو العزم، المتخصص في القانون الدولي، أن الدعم الحقوقي العالمي للقضية الفلسطينية ودعوات المساءلة عن جرائم الحرب المرتكبة في غزة لا يهددان بقاء الكيان الصهيوني بشكل مباشر، ولكنهما يمثلان عامل ضغط، ولهما تأثير كبير على سياساته وعلاقاته الدولية.

ويضيف، في حديث لـ«المجتمع»، أن هذا الدعم يسلط الضوء على الجرائم التي يرتكبها جيش الاحتلال الصهيوني بحق الفلسطينيين، ويضغط على المجتمع الدولي لمساءلتها واتخاذ خطوات لتحقيق العدالة، موضحاً أنه مع تزايد هذه الضغوط، قد يجد الكيان الصهيوني نفسه مضطراً لتغيير سياساته أو التفاوض بشكل أكثر جدية، بما يؤدي إلى تحسين ظروف الفلسطينيين.

ويؤكد أبو العزم أن قرارات محكمة العدل الدولية (ICJ) يمكن أن يكون لها تأثير كبير على الكيان الصهيوني، خاصة فيما يتعلق بالشرعية الدولية لسياساتها وأفعالها في الأراضي الفلسطينية، رغم أن قرارات محكمة العدل الدولية غير ملزمة قانونياً مثل قرارات مجلس الأمن الدولي، ولكنها تحمل وزناً كبيراً في المجتمع الدولي وتزيد الضغط على الكيان الصهيوني.

ويلفت إلى أنه رغم أن الكيان الصهيوني لم يلتزم بقرارات محكمة العدل الدولية السابقة المتعلقة بجدار الفصل العنصري، فإن الرأي الاستشاري كان له تأثير كبير على الرأي العام العالمي، وزاد من عزلتها الدبلوماسية في بعض المحافل الدولية، مؤكداً أنه مع ذلك، يبقى التأثير الفعلي لتلك القرارات محدوداً إذا لم تكن مدعومة بتحركات قوية من المجتمع الدولي لفرض تنفيذها.■

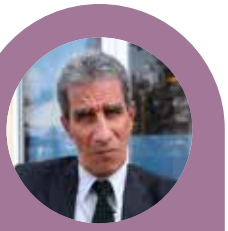

مرزوق: وسائل إسقاط «الأبارتايد» واستقلال الفيتناميين طريقنا لتحرير فلسطين

ياسين: بعد عقد من الزمان سيكون لدينا ظهير غربي لكن لا بد من مواصلة النضال

سيف الدولة: استمرار التمرد على الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها هو السبيل

أبو العزم: الدعم الحقوقي العالمي عامل ضغط غير حاسم على الكيان ويجب تطويره

العالم الإسلامي بعد المشروع الصهيوني.. رؤية استشرافية

تراجع المشروع الاستعماري الغربي يعني بدء انعتاق أمتنا وتقرير مصيرها بعيداً عن قهر الغرب

د. حمـــدي شاهيـــن

نحن على ثقة من موعود ربنا بنصر دينه وأوليائه؛ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، بل إن ملامح النصر ونهايات المشروع الصهيوني بدأت تتشكل في الأفق بعد «طوفان الأقصى»، وتكاثفت الأحاديث عن قرب سقوط دولة العدو من داخله وخارجه، وعلى ذلك فإن تناول ما بعد سقوط المشروع الصهيوني أدخل في باب استشراف المستقبل منه في باب التمنيات والآمال المجنحة في الخيال، وإن حديثنا عن اليوم التالي تحرير بيت المقدس أولى من ديثهم عن اليوم التالي لغياب «حماس» عن حكم غزة.

على المستوى السياسي:

لن ينهار المشروع الصهيوني بمعزل عن تراجع المشروع الغربي الاستعماري الذي حكم منطقتنا، أو هيمن عليها بدرجات متفاوتة، على مدى القرون الخمسة الأخيرة، وتخادُم المشروعين متحقق منذ كانت الصهيونية نبتة خبيثة يبحث هرتزل عن راعٍ لها، ومستمرة كما عبر نتنياهو في خطابه الأخير أمام الكونجرس الأمريكي وهو يقول لأعضائه: «نحن لا ندافع عن أنفسنا فحسب، بل ندافع عنكم أيضاً.. ومعاً سندافع عن حضارتنا المشتركة»، وكما أقر بها الرئيس الأمريكي جو بايدن في مؤتمره الصحفي الذي عقده بـ«تل أبيب» في أعقاب السابع من أكتوبر، حيث قال: «إن «إسرائيل» لو لم تكن في الوجود لعملنا على إقامتها، وسنستمر في دعمها».

ولما بدت نذر الخطر في أفق الكيان الصهيوني بعد تفجر «طوفان الأقصى» هرعت املات الطائرات والأساطيل الأمريكية والأوروبية للزحف لطمأنة حليفتهم وحمايتها، وتهديد خصومها، وبلغ الأمر أن حضر أنتوني بلينكن، وزير الخارجية الأمريكي، اجتماع الحكومة «الإسرائيلية» لإظهار التضامن والتشارك معهم، وصرح بأنه جاء ليشارك «كيهودي، وليس فقط كوزير أمريكي»، كما شارك لويد أوستن، وزير الدفاع الأمريكي، في اجتماع مجلس الحرب «الإسرائيلي» بعد أيام من السابع من أكتوبر ليسهم في وضع خطط اقتحام قطاع غزة.

إن تراجع

المشروع الاستعماري الغربي يعني بدء انعتاق أمتنا، وتحررها، وتقرير مصيرها بعيداً عن قهر الغرب، حيث إن حماية الأنظمة الدكتاتورية مهمة تشاركية للمشروعين الصهيوني والغربي.

ولم تكن سياسة دعم الدكتاتورية الحاكمة للعالم العربي طارئة على الكيان الصهيوني، حيث قال بن جوريون، أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني: «طيلة الوقت وأنا أخشى أن يقوم قائد عربي ليقود العرب في طريق الحرية والوحدة»، وكتب الصحفي والكاتب الصهيوني عوفر شيلح مقالاً في جريدة «معاريف»، في ١ فبراير ٢٠١١م، تحت عنوان «الديمقراطية ليست للعرب»، قال فيه: «إن العرب غير جديرين بالديمقراطية، وإن ما تحتاج إليه «إسرائيل» هو أنظمة حكم عربية مستقرة وغير ديمقراطية، وبكلمات بسيطة: نحن نريد حكاماً عرباً مستبدين يعتمدون على الغرب».

لقد كانت المخاوف الصهيونية من التحرر والوحدة العربية والإسلامية قائمة على رصد حقيقي للواقع الناطق بأشواق شعوبنا إلى الحرية، وولائها للإسلام، بل إن أحد أهم الدوافع الغربية لغرس «إسرائيل» في هذا الموضع الجيوسياسي على خارطة المنطقة أن تكون رادعة لتلك الآمال، حارسة لسيطرة أدوات المشروع الغربي الصهيوني، في قلب المنطقة المرشحة لانبعاث الصحوة الإسلامية، والمهيأة لإنجاحها.

كما تكفل ذلك المشروع بإنتاج مشاريع التقسيم والتفتيت للعالم العربي والإسلامي، وقد حققت نجاحاً هائلاً بإسقاط نموذج الخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية، في الوقت نفسه الذي كانت مخططات «سايكس بيكو» توضع موضع التنفيذ، وبعد قليل تم احتضان خطة برنارد لويس لتقسيم المنطقة إلى دويلات تضم في جيناتها عوامل الاحتراب الداخلي والتعادي البيني.

ولذا، فإن انهيار المشروع الصهيوني

بسقوط المشروع الصهيوني سينهار التحكم الرأسمالي اليهودي وأدواته العالمية المسيطرة

وانهزام المشروع الغربي كفيل بإسقاط تلك المخططات، واستعادة الأمة عافيتها، وامتلاك حرية قرارها، وتحقيق آمالها في التكامل والوحدة، وإن طال طريق ذلك بفعل عقود من التشرذم وإفساد الضمائر وتغريب العقول.

ولا ريب أن انهيار أو تراجع بعض المشروع الصهيوني والغربي يفسح المجال لانطلاق المشروع الإسلامي بما يمتلكه من إمكانات عظمى تمثل نحو ملياري مسلم يشغلون مساحات جغرافية مترامية، ملأى بالثروات الاقتصادية والعلمية والفكرية، وطموحات كبرى نحو الوحدة، ويحملون عقيدة دينية فائرة، تسعى لأستاذية العالم، ورسالة إلهية ذات منظور إنساني راقٍ.

على المستوى الاقتصادي:

سيتبع انهيار المشروع الصهيوني انهيار التحكم الرأسمالي اليهودي وأدواته العالمية المسيطرة، وتنتهي حقبة روتشيلد وأبنائه، وسيطرتهم على البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومعظم المؤسسات المالية حول العالم، واستبداد الربا والرأسمالية المتوحشة، التي أنتجت سيطرة ٢٠% على مقدرات العالم،

أبرز نتائج انهيار العدو استعادة الشعوب الإسلامية ثقتها بنفسها وقياداتها الحرة وقدواتها

وفقر ٨٠% من الذين يسحقهم الفقر.

إن إدارة اقتصاد العالم في منظومة تزيد الأغنياء ثراء والفقراء مسغبة، وتكرس التبعية لعدد من المؤسسات المالية العملاقة، والشركات عابرة القارات، وتحتكر التكنولوجيا العالية، وتستقطب العقول النابهة حول العالم، وتفرغ منهم بلدانهم، ليضمن الغرب استمرار تفوقه ودوام سيادته، وتنتج طابوراً من العملاء له في مجالات الإعلام، ومؤسسات البغاء والجنس، والجاسوسية والتبعية.

وسيتبع ذلك استعادة عالمنا العربي والإسلامي القدرة على تقديم منظومة الإسلام في المال والتجارة والإنتاج بأدواته المتعددة، وهي منظومة رحيمة، تشجع على العمل، وتحرص على العدالة في توزيع الثروات، والحكمة في تحقيق الربح، وتنهى عن الاحتكار والغش والاستهلاك الباذخ، وتكديس ثروات العالم في أيدي حفنة من الطغاة.

وسوف تتحرر مقدرات أمتنا الاقتصادية التي استولت عليها الصهيونية والاستعمار، وأبرزها الثروة المائية، فيستعيد الأردن سيطرته على نهره بجانبيه، ويسترد لبنان سيادته على نهر الليطاني، وتنجو مصر من المؤامرات المحدقة بنيلها العظيم، وتتحكم الأمة في مواردها.

على المستوى النفسي:

أما أبرز نتائج انهيار العدو فتتمثل في الجوانب الروحية والنفسية، حيث ستستعيد الشعوب ثقتها في نفسها، وفي قياداتها الحرة، وقدواتها الباهرة التي أنتجتها مراحل التحرير، وسوف تثق الأمة في قدرتها على الفعل الحضاري، وصناعة النموذج الإسلامي البديل لجاهليات الأرض، وأداء دورها الرسالي المقدر لها؛ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وحريتها في فرز قوى العالم بحسب مواقفهم تجاهها، فيعود مفهوم الولاء لله والبراء من أعدائه.■

المقاومة الفلسطينية.. بين إكراهات الواقع ومتطلبات المرحلة

أدهم أبو سلمية

منذ انتخابات العام ٢٠٠٦م، التي صعدت فيها حركة «حماس» إلى سدة الحكم بفضل اختيار الشعب الفلسطيني لها كخيار ديمقراطي، واجهت المقاومة الفلسطينية تحديات وضغوطات متعددة على كافة الأصعدة.

ففي غزة، جسدت المقاومة ١٧ عاماً من الصمود رغم الحصار الخانق والاعتداءات «الإسرائيلية» المتكررة، وجاءت معركتا «سيف القدس» و«طوفان الأقصى» كنقطة تحول في الصراع الفلسطيني-«الإسرائيلي»، حيث أسستا لمرحلة جديدة من الاشتباك تقوم على مبدأ «نغزوهم ولا يغزونا»، ومع هذا التحول، أصبحت «حماس» تواجه حالة مستمرة من الاستنزاف نتيجة الحرب المستمرة وشراستها المتزايدة؛ مما أثر على أصولها البشرية والعسكرية والإدارية.

شعبياً، يعيش السكان في غزة تحت وطأة استنزاف متواصل نتيجة للإبادة الجماعية المنهجة التي تجاوزت حدود الإنسانية، واستمرت على مدار أكثر من ١٠ أشهر، خلال هذه الفترة المظلمة، ارتكب الاحتلال أكثر من ٤٥٠٠ مجزرة، خلفت وراءها مشاهد مروعة من الدماء والألم، حيث استشهد نحو ٤٠ ألف شخص، معظمهم أطفال ونساء وشيوخ، وأصيب عشرات الآلاف بجروح، بعضهم يواجه إعاقات دائمة، هذه المجازر لم تقتصر على الأرواح فقط، بل رافقها تدمير شامل للبنية التحتية؛ مما جعل غزة تبدو وكأنها مدينة مدمرة خرجت لتوها من أهوال الحرب العالمية الثانية.

وأمام استمرار النزوح القسري، حيث تُجبر العائلات على ترك منازلها المدمرة بحثاً عن مأوى مؤقت، وغياب الاحتياجات الأساسية من مأوى وغذاء ومياه نظيفة وكهرباء ودواء، أصبحت الحياة اليومية في غزة معركة من أجل البقاء في أبسط صورها، وازدادت معاناة السكان بشكل لا يمكن تجاهله، حيث يواجهون صيفاً حارقاً تزيد فيه درجات الحرارة من وطأة الألم والمعاناة، وتنتشر فيه الأمراض الناتجة عن تلوث المياه والأمراض الجلدية.

في ظل هذه الظروف القاسية والبائسة، يبدو أن ورقة الضغط على الجبهة الداخلية في غزة، من خلال تعميق المعاناة الإنسانية، أصبحت الورقة الوحيدة المتبقية لرئيس الوزراء «الإسرائيلي» بنيامين نتنياهو في محاولاته اليائسة لإضعاف المقاومة.

أما على الصعيد العسكري، فيزداد التحدي أمام المقاومة مع استمرار التواجد الصهيوني على الأرض في غزة، سواء في محور «نتساريم» الذي يقسم القطاع إلى نصفين، أو في محور «فيلادلفيا» الذي يقطع صلة غزة بالعالم الخارجي، هذا التواجد يعقّد مهمة المقاومة في استعادة السيطرة الفعالة وإعادة ترتيب الحوكمة السابقة؛ مما يزيد من الأعباء على قيادة المقاومة والسكان على حد سواء، ومع ذلك، وفي مواجهة هذه التعقيدات، تواصل المقاومة خوض حرب عصابات ممنهجة، تعزز مكانتها وتؤكد قدرتها على الاستمرار في الصمود، رغم الضغط المتزايد على الحاضنة الشعبية.

الضفة الغربية

بينما تتجلى هذه التحديات في غزة، لا يقل الوضع تعقيداً في الضفة الغربية، فهناك تواجه المقاومة محاولات «إسرائيلية» مكثفة للقضاء على كل أشكال المقاومة، في ظل ظروف معقدة تشهدها المنطقة، فالضفة التي تعتبر خزاناً إستراتيجياً للمقاومة بفضل موقعها الجغرافي والديموغرافي، تشهد محاولات لإقصاء المقاومة وتشويه صورتها، بتمويل من مليارات الدولارات، ترافقت هذه المحاولات مع جهود لإجبار المقاومة

غياب دور المؤسسات الدولية عامل آخر يزيد من صعوبة وضع المقاومة

على المقاومة تفعيل الانتفاضة الشعبية وتوحيد الصف وتعزيز الوحدة الوطنية

على الاستسلام، بينما تسعى السلطة الفلسطينية لإنهاء الحرب وفق شروط «إسرائيلية»، وفي هذا الإطار، أدى هذا الواقع إلى تعميق الانقسام الداخلي الفلسطيني؛ مما يضعف الموقف الفلسطيني أمام المجتمع الدولي ويجعل المقاومة تفتقر إلى دعم سياسي رسمي.

وفيما يتعلق بالمشهد الشعبي، يعكس الانقسام بين «فتح» و«حماس» انقساماً أعمق بين مشروعين متنافرين؛ الأول: يؤمن بحل الدولتين ويسعى لاستئصال المقاومة، والآخر: يمثل المقاومة بتطلعاتها في تحرير الأرض، وفي هذا الصدد، تسعى السلطة الفلسطينية، التي أُنشئت تحت إشراف أمريكي، إلى استخدام وسائل القمع والضغط لترهيب بيئة المقاومة.

إلى جانب هذا، يشكل التهجير القسري والتهويد أوراق ضغط إضافية ضد المقاومة في الضفة الغربية والقدس، تهدف هذه السياسات إلى تغيير الواقع الديموغرافي والجغرافي بشكل جذري، مما يطمس الهوية الفلسطينية، ويجعل من حل الدولتين شبه مستحيل، وتتجلى هذه السياسات في ازدياد المستوطنات وعدد المستوطنين، والقرارات «الإسرائيلية» التي تسهل الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية؛ وهو ما يضيف بعداً جديداً لتعقيد الوضع.

على الصعيد الخارجي، تزداد التحديات التي تواجه المقاومة تعقيداً بفعل التطورات الإقليمية والدولية؛ فمن ناحية، تواصل الولايات المتحدة العمل على تشكيل المنطقة وفقاً لمصالحها الإستراتيجية، خصوصاً عبر دعم «إسرائيل» كحليف إستراتيجي رئيس، وفي هذا السياق، تعد «صفقة القرن» مثالاً واضحاً على محاولات إعادة تشكيل الواقع العربي والفلسطيني بما يتماشى مع الرؤية الأمريكية التي تهدف إلى إضعاف المقاومة.

التخاذل العربي

وعلى الرغم من ذلك، يظل التخاذل العربي عنصراً حاسماً في تعقيد المشهد أمام المقاومة، حيث اختارت العديد من الدول العربية التركيز على قضاياها الداخلية أو الدخول في تحالفات مع القوى الكبرى على حساب القضية الفلسطينية، هذا التخاذل، إلى جانب موجة التطبيع الأخيرة بين «إسرائيل» وعدد من الدول العربية، يعمقان من عزلة المقاومة ويجعلان الاحتلال واقعاً مقبولاً في المنطقة؛ مما يزيد من الضغوط على المقاومة الفلسطينية.

أما على المستوى الدولي، فيبرز غياب دور المؤسسات الدولية كعامل آخر يزيد من صعوبة

الوضع، ورغم القرارات الدولية التي تدعم حقوق الشعب الفلسطيني، فإن غياب الفعل من قبل هذه المؤسسات يعكس ضعفها في مواجهة السياسات «الإسرائيلية»؛ مما أتاح للاحتلال الاستمرار دون محاسبة، وفي نفس السياق، تستمر «إسرائيل» في الاعتماد على حملات إعلامية مكثفة تهدف إلى تشويه صورة المقاومة الفلسطينية وتصويرها كجماعات إرهابية، في محاولة لتغيير النظرة العالمية للقضية الفلسطينية، وجعلها تبدو قضية نزاع ثانوي مقارنة بالصراعات الأخرى في المنطقة.

في ظل هذه التحديات المتزايدة، تبرز متطلبات المرحلة الراهنة للمقاومة الفلسطينية، وهي ليست بالهينة، تحتاج المقاومة إلى إسقاط منظومة الأمن المتحالفة مع الاحتلال، وتفعيل الانتفاضة الشعبية لزعزعة هذه المنظومة، كما يتعين على المقاومة توحيد الصف الفلسطيني على قاعدة المقاومة وتعزيز الوحدة الوطنية، مع الاستمرار في المعركة على كافة الجبهات.

يجب على المقاومة أيضاً مواجهة حملة شيطنتها من قبل الولايات المتحدة، وتوعية الرأي العام واستقطابه في هذه المعركة، إضافة إلى ذلك، يتعين مقاومة التطبيع والعمل على توعية الأمة بأخطاره، وتعزيز العلاقات مع الحلفاء والداعمين لتوفير الغطاء السياسي اللازم.

وأخيراً، يجب تعزيز الصمود الشعبي من خلال توفير الإمكانات لدعم الشعب الفلسطيني في مواجهة القهر والمعاناة، والتمسك بشروط المقاومة في أي مفاوضات، مع الاستعداد لمعركة طويلة إذا لزم الأمر.■

المقاومة في الضفة الغربيــة والقــدس.. بين الواقع والمأمول

يعاني المسلمون في دول الأغلبية والأقلية من الحرب على الهوية الإسلامية، بطرق مختلفة، لكنها تمثل في النهاية تهديداً لحاضر ومستقبل الإسلام فيها، وهنا نستعرض آراء علماء بعض الدول عن دور الفتاوى الرسمية في تأكيد الهوية الدينية، ونشر الوعي الديني، ومواجهة تيارات «الإسلاموفوبيا»، والصراعات المذهبية بين المسلمين أنفسهم.

إيــاد القطــراوي

المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس تتطور رغم تهديدات الاحتلال بتحويل الضفة الغربية إلى غزة جديدة، فمنذ العام ٢٠٢٢م شهدت نمطاً جديداً من أنماط المقاومة المسلحة، وظهرت المجموعات المسلحة التي بدأت في شمال الضفة، وتكررت اشتباكاتها مع الاحتلال، وانتقلت إلى جنوبها ووسطها، وبرزت هذه المجموعات بالتزامن مع تنفيذ عمليات اغتيال للمقاومين وتصاعد المقاومة الفردية في الضفة الغربية والقدس، واستطاعت خلق نمط يختلف عن البنية التنظيمية للأحزاب الفلسطينية التقليدية، وشكلت قيادة مستمدة من الميدان، واكتسبت حاضنة شعبية واسعة، على الرغم من حداثة نشأتها وطابعها الشبابي.

لقد تصاعدت المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة والقدس، بالموازاة مع العدوان الصهيوني على غزة وحرب الإبادة التي يمارسها الجيش الصهيوني بحق الأطفال والنساء والشيوخ، وتدمير البنية التحتية وكل مناحي الحياة وقصف البيوت والمؤسسات والمراكز والمساجد.

وتكشف الاشتباكات المسلحة التي تحدث يومياً هناك عن إستراتيجية جدية وحقيقية بدأت من خلال تصعيد عمليات القنص وإطلاق النار على الحواجز، واقتحام المستوطنات، وعمليات الدهس والطعن، لتصعيد المواجهة في الضفة الغربيـــــة، ولتخفيف ما يجري في قطاع غزة.

مفاجأة الاحتلال

ويجب أن ندرك أن هناك تطوراً في عمليات المقاومة النوعية وأساليبها الجديدة، التي كانت مفاجئة للاحتلال، التي تتصاعد وتتنامى وتتمدد وتتطور باستمرار من حيث الأساليب والتخطيط والأدوات، جراء استمرار السياسات الصهيونية القمعية، والممارسات الإجرامية بحق الشعب الفلسطيني سواء في الضفة الغربية والقدس أو غزة، ومن المتوقع، أن تستمر في التصاعد، ما دام الاحتلال يواصل احتلاله واجتياحه للمدن الفلسطينية والقدس واستمراره في حرب الإبادة التي يمارسها في غزة.

لقد أصبحت المقاومة الفلسطينية بعملياتها النوعية المساندة لغزة واقعاً عملياً مرعباً لدولة الكيان يفرض عليها مجابهته بكل قوة لإخماد هذه الجبهة، التي تعتبر أكثر خطورة على دولة الكيان نتيجة ارتباط الحدود، والارتباط الجيوسياسي، وتشابك الواقع الجغرافي، ووجود المستوطنات وانتشار المستوطنين في القدس، مما يتطلب تركيزاً كبيراً على هذه الجبهة حتى لا تفلت الأمور من بين يديها، وينفرط العقد، وتشكل خطراً إستراتيجياً ووجودياً عليها.

لذلك، جعلتها منطقة استنفار عسكري صهيوني، ونشرت قوات الشرطة والجيش، وركزت عمليات المداهمة والتفتيش وعمليات القصف والقتل، وسلَّحت المستوطنين الذين أمعنوا في استهداف الفلسطينيين، ولم يثبط ذلك من عزيمة المقاومين، ولم يفت في عضدهم، بل زادهم إصراراً على المواصلة والمقاومة بشتى السبل والطرق، وهو مطلب يجب التعويل عليه لإشعال جبهة صراع ثانية ضد دولة الكيان في الضفة الغربية والقدس، إلى جانب الجبهات الأخرى المتمثلة في غزة ووحدة الساحات في لبنان وسورية والعراق واليمن.

تطور إستراتيجي نوعي

لقد شهد عمل المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس تطوراً نوعياً وبارزاً بعد عملية «طوفان الأقصى» في غزة، كان عنوانه استخدام العبوات الناسفة أهم الأسلحة الإستراتيجية التي تمتلكها المقاومة في مواجهة القوات الصهيونية، وإشعال الحرائق في الأراضي الزراعية التي باتت تمثل هاجساً لدولة الكيان.

ولعل هذا التحوّل الإستراتيجي في الضفة الغربية والقدس لم يكن ليتخذ مساره الحالي المتطور بهذا الوقت القصير، لولا ترابط هذه الساحة مع قطاع غزّة على المستوى الفلسطيني، ومع محور المقاومة على المستوى الإقليمي، والإدراك الكبير بأنها تمثل أكثر وأخطر الساحات المقاومة في وجه دولة الكيان؛ لما تمتلكه من عناصر قوة تفرضها الوقائع على الأرض، والإيمان الراسخ بأن ممارسات الاحتلال الصهيونية لا يمكن مواجهتها سوى بالقوة، بعد فشل الدبلوماسية التي مارستها السلطة الفلسطينية على مدار ٣ عقود دون تحقيق أدنى الحقوق، رغم الاتفاقات والعهود التي ضربت بها دولة الكيان عرض الحائط، واخترقتها بل واخترقت الدبلوماسية الدولية والقانون الدولي.

إن تزايد زخم العمل المقاوم المسلح المنطلق من عدة مدن ومخيمات في الضفة الغربية باتجاه حواجز ومستوطنات صهيونية يفرض تساؤلاً واقعياً حول مآلاته وفرص بقائه، فضلاً عن تطوره وتزايد حدته، وهي تساؤلات منطقية ومشروعة بالنظر لما تعانيه الضفة الغربية من قبضة أمنية صهيونية محكمة، وتنسيق أمني واضح وجاد تمارسه أجهزة أمن السلطة بقصد إجهاض أي عمل مقاوم مسلح ضد دولة الكيان وجيشها ومستوطنيها.

ليبرز الجواب التفصيلي سريعاً إلى أن المزاج الثوري المتجدد في الضفَّة يتجه نحو تصعيد المقاومة بكل أشكالها لتكون امتداداً لتجربة المقاومة في قطاع غزة وتطورها وصولاً إلى دخولها على خط فرض المعادلات والمشاركة في صنعها، بالإضافة إلى النموذج القوي للمقاومة في لبنان والساحات الأخرى وصدى تطورها وتثبيتها لمعادلات معينة فرضتها على العدو الصهيوني.

يمكننا القول بوضوح: إن المقاومة المسلحة في الضفة الغربية والقدس آخذة في الترسخ والتطور والتمدد ويرجع ذلك إلى:

- تخفيف الضغط العسكري عن جبهة غزة، وتعزيز جبهة الضفة الغربية لتكون جبهة إسناد ودعم.
- فرض وتعزيز الاستيطان وضم الأراضي وتهجير الفلسطينيين وطردهم والاستيلاء على بيوتهم وممتلكاتهم.
- تصاعد تطرف المستوطنين وعنف عصاباتهم المدعومة من جيش الاحتلال وحكومته.
- اقتحامات المسجد الأقصى المتكررة وتقسيمه مكانياً وزمانياً.

والمقاومة هنا أمام امتحان صعب، ومن أجل اجتيازه يجب عليها:

- إبقاء جذوة المقاومة مستعرة دوماً، وألا تكون مجرد طفرة وظاهرة مرتبطة بجبهة معينة سرعان ما تخبو وتتلاشى أمام الضغط العسكري، أو التلويح بالحصار والمقاطعة الاقتصادية.
- إيجاد آليات جديدة للعمل المقاوم، وابتكار أساليب جديدة لتجاوز التحديات المفروضة ومواجهتها.
- استخلاص العبر من جبهات المقاومة الأخرى، ومحاولة تلافي المطبات والأخطاء التي يمكن أن تكون سبباً في وأدها.
- الاستفادة من الطبيعة الجغرافية والسياسية التي تتمتع بها الضفة الغربية والقدس من أجل تعزيز المقاومة واستمرارها وسيطرتها.
- مراكمة الخبرة العسكرية وإجراء تقييم مستمر لمدى نجاعة الوسائل المقاومة وطبيعتها، ومدى تحقيقها لأهدافها، والانتقال من وسيلة إلى أخرى وفق متطلبات المرحلة وتكتيكاتها ■

المقاومة بالضفة الغربية والقدس تتطور رغم تهديدات الاحتلال بتحويلها إلى «غزة جديدة»

.. وأصبحت بعملياتها النوعية المساندة لغزة واقعاً عملياً مرعباً لدولة الاحتلال المجرمة

ضرورة إبقاء جذوة المقاومة مستعرة وابتكار آليات وأساليب لتجاوز التحديات ومواجهتها

معالم في صناعة القائد.. قادة المقاومة نموذجاً

من سمات القيادة الثقة بالنفس والإقدام والحسم والصدق والأمانة وطول النفس والنزاهة

عامر شماخ
كاتب صحفي وباحث

حُكي عن نابليون بونابرت قوله: «جيش من الأرانب يقوده أسد أفضل من جيش من الأسود يقوده أرنب»؛ تأكيداً لأهمية القيادة في حياة الأمم؛ إذ قوة الأمة في قوة قادتها القدوات، الذين لديهم القدرة على التوجيه والإرشاد، وإصلاح المجتمعات، ولديهم من النفوذ والقوة التأثيرية على الآخرين ما يحققون به إنجازات عظيمة وأهدافاً كانت بعيدة المنال، لا سيما القادة الربانيين، الذين يتحينون الفرص، ويستثمرون الأوقات، ويحرصون على طاقات الأمة من التبدّد والضياع.

سمات القيادة الناجحة:

وهناك العديد من السمات التي يجب أن يتصف بها القائد الناجح، منها:

- الثقة بالنفس: وهو أمر نابع من الذات، من داخل القائد، الذي يعتز بذاته، ليس بطراً ورعونة، لكن بمقتضى مهارات وسلوكيات تظهر في المواقف الصعبة، وشعور بأهميته لسير العمل وتحقيق الإنجاز.

- المبادأة والإقدام والحسم: فهو شجاع مقدام، من دون تهور وحماس كاذب، إنما لديه القدرة على المواجهة المحسوبة وعدم التردد، من خلال رؤية وتصور واضحين، وبُعد نظر إلى المستقبل، فعل ذلك لأنه لم يغفل عن التخطيط لمدى بعيد.

- التدرج وعدم الارتجالية: وإنّ إقدامه ومبادأته لا تعني الارتجالية أو القبول بالأعمال الانفعالية، بل يسير بخطوات محسوبة وإستراتيجية متدرجة، فلا يطغى جانب على جانب، بل كل شيء منضبط، وكل أولوية في مكانها وزمنها المحددَيْن مسبقاً.

- القدرة على التفويض: وتلك من أهمّ سمات القائد الناجح، فالتفويض لا يعني تخفّفه من أعبائه ومهامه، بل يكون دفعاً للعمل الجماعي وتوسيعاً لنطاقه، ودعماً لقيادات الصف الثاني، وصناعة رموز جديدة، مع الأخذ في الاعتبار أنه مسؤول عن نتائج هذه القرارات وتلك الاختيارات.

- الصدق والأمانة والصبر وطول النفس والنزاهة: وهي من جملة الصفات الخُلقية للقائد، وهي ركائز مهمة في نجاح أي فريق، فالقائد قدوة لمن معه، والرائد لا يكذب قومه، وعلى من يتولى الرئاسة أن يكون متين الخلق، قوي النفس، ذا طاقة معنوية تليق بما يتولاه من مهام جسام.

قادة المقاومة نموذجاً:

يتحلّى قائد المقاومة بالسمات العامة للقائد -المذكورة سابقاً- نضيف إليها صفات قرآنية ونبوية اختُص بها الأنبياء والرسل؛ باعتبار منطلقاتهم الإسلامية، وخضوعهم لعقيدة التوحيد التي تميز بينهم وبين القادة الآخرين، فهم يجتمعون معهم في «الكاريزما» والملكات الخَلْقية، لكن يختلفون في الصفات الخُلُقية والقدرات النفسية؛ فمن تلك القدرات

- علو الهمة، والحلم والرفق، واحتمال الأذى، موقنون بنصر الله، وبوعده للصادقين المخلصين، فهم لذلك متوكلـــون على الله في كل خطواتهم.

قائد المقاومة في رباط لتحقيق رضا الله يستوي عنده الموت أو الحياة إما نصر أو استشهاد

الشهيد هنية كان النموذج العملي لقائد مقاوم كأنه من طيف النبوة أو من أثر السلف الصالح

– الإلحاح في تبليغ الأهداف الدعوية، وإن جاءت مقترنة بسياقات سياسية وعسكرية، ومن ثم إقامة الحجة على الجميع، بالقول والعمل.

– القدرة العالية على إدارة الأزمات، واتخاذ قرارات مصيرية، من خلال العمل الجماعي المتقن والشورى الملزمة.

– لا تعلق نفوسهم بعرض من أعراض الدنيا، ولا يغريهم جاه أو منصب، وليس لهم طمع في عارية مستردة، فهم يفرّون من كل الغايات إلى غاية واحدة هي الله رب العالمين.

– وقائد المقاومة لا يعرف اليأس؛ لعلمهم أن اليأس كفر، وهو ليس من أخلاق المسلمين، وليقينهم بأن أحلام اليوم هي حقائق الغد؛ إذ المسلم لا يعرف المستحيل.

– من ثم؛ فإن قائد المقاومة لا يعجزه شيء من صناعة البشر، فهو في رباط لتحقيق رضا الله، يستوي عنده الموت أو الحياة، أو هو بين خيارين؛ نصر أو استشهاد.

– وهو لا يرضى بالدنية والفضلة، ولا يقبل الضعف والهوان، ولا يعرف الكسل أو القعود، إنه يجهز لمعاركه، سبّاق إلى كل جديد، يسعى دائماً إلى بري سهمه وتجهيز قوسه؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

هنية.. القائد الشهيد:

ضرب الشهيد إسماعيل هنية المثل والنموذج العملي لقائد عصري مقاوم، كأنه من طيف النبوة، أو من أثر السلف الصالح مما قرأناهم ولم نرهم، كُتب عليه القتالُ من يوم مجيئه إلى الدنيا حتى نيّله الشهادة، فقد وُلد في بيت منكوب بالتهجير، وذاق وهو طفل مرارة العيش تحت نيْر الاحتلال، حتى إذا شبّ عن الطوْق التحق بركب الكفاح، ورحل شهيداً وهو ابن ٦١ عاماً لم يذق خلالها طعم الراحة؛ من اعتقالات واغتيالات وحروب وقصف وحرق وتدمير، لكنه كان مثلاً في اطمئنان النفس وسكينة الروح وإشراق الوجه، غير جزع لموت أو هلع لفقدان، راغباً فيما عند الله، ينتظر الشهادة كأنما ينتظر حبيباً طال غيابه.

ظهرت بوادر القيادة عند هنية منذ صغره، فقد تولى رئاسة مجلس «الكتلة الإسلامية»، الذراع الطلابية لـ«حماس»، في سنته الأخيرة الجامعية، وبعد تفجّر انتفاضة عام ١٩٨٧م عُيِّن عضواً بـ«لجنة المتابعة العليا للانتفاضة» ممثلاً عن حركة «حماس»، وعضو لجنة الحوار مع الفصائل والسلطة الفلسطينية.

لم يكن هنية قائداً سياسياً فحسب، بل حاز مناصب رفيعة في الجانب المعاشي، فقد تدرج في المناصب الإدارية في الجامعة الإسلامية بغزة حتى صار عميدها؛ ليحصل بعدها على الدكتوراة الفخرية، لم يعطله ذلك أن كان مديراً لمكتب الشيخ أحمد ياسين، ثم رئيساً للوزراء، ثم رئيساً للمكتب السياسي لـ«حماس».

تعرّض هنية للاعتقال على يد المحتل ثلاث مرات، اعتقل في إحداها ثلاث سنوات، وأُبعد عاماً إلى «مرج الزهور» بلبنان، وتعرّض لأربع محاولات اغتيال من «فتح» والصهاينة، وقُصف بيته عام ٢٠١٤م، وفي «طوفان الأقصى» ارتقى ٦٠ فرداً من عائلته، من بينهم شقيقته وثلاثة من أبنائه وعدد من الأحفاد.

ورغم كل هذا لم يتوقف، بل لم يتردد، بل لم يفقد الأمل للحظة في تحقيق هدفه، فيقول: «نحن هنا ثابتون، على أرضنا صامدون، مرابطون مجاهدون، والدولة آتية آتية، بإذن الله سبحانه وتعالى، إن لم تكن اليوم فغداً، وإن لم ننتزعها اليوم فسوف ننتزعها غداً بإذن الله سبحانه وتعالى، بل بتنا نشعرُ بأن الدولة أصبحت قريبة، وأن النصر أصبح قريباً؛ لأن الأمة حينما تتحرك وحينما تتحرر من أغلال وقيود العبودية، إذاً هي سوف تتحرك باتجاه فلسطين، كل فلسطين بإذن الله سبحانه وتعالى».

جمع هنية، باعتراف الجميع، بين «كاريزما» القيادة وأخلاق الإسلام، فبالإضافة إلى ثقته الشديدة في نفسه، وتمتعه بقدرات نفسية ذات تأثير كبير على قلوب الآخرين، وبشخصية ذات هيبة ووقار كما هو حال الزعماء؛ فإنه كان بسيطاً في كل شيء، شديد التواضع واللطف في معاملة الآخرين، حليماً حسنَ الخلق، شفافاً نزيهاً، وكان ذا عقل منير، وفهم مشرق، وعاطفة جياشة، وقلب فياض، وروح مشبوبة متألقة، ولسان بليغ، محاوراً مرناً، يحترم آراء الآخرين، حتى قيل: إنه يستحق بجدارة أن يكون لسان حال «حماس».■

مشاركة المسلمين في جيش الكيان الصهيوني

د. مسعود صبري
محاضر بكلية الشريعة - جامعة الكويت

يمثل المسلمون أقلية في جيش الكيان الصهيوني، ويشكل العرب نحو ٢١% من سكان دولة الاحتلال، ويفرض الاحتلال التجنيد على الدروز والشركس، ويستثني بقية العرب ممن يحملون جنسية دولة الاحتلال من التجنيد الإلزامي، إلا أن عدداً منهم يختار الانضمام لجيش الاحتلال طواعية، وأغلب هؤلاء من البدو الذين يعيشون في الجليل والنقب، ويبلغ عددهم ١٥٠٠ شخص.

ومن أهم الدوافع لالتحاق مسلمي البدو بجيش الاحتلال الضائقة الاقتصادية، والتمييز ضد أبناء الأقليات العربية، والسعي للحصول على تأمين مقومات الحياة الأساسية لهم من مسكن ووظيفة وفرص تعليم لا يمكن الحصول عليها من دون الخدمة العسكرية، ويسعى الكيان الصهيوني إلى إدخال عناصر من المسلمين والمسيحيين لجيشه حتى يظهر أمام العالم أن جيشه يمثل طوائف الشعب كله، ولذا، فقد اصطحب رئيس وزراء الكيان الصهيوني أشرف البحيري، وهو جندي من «بدو إسرائيل» من بلدة رهط في النقب، وتفاخر به نتنياهو أمام الكونجرس وأشاد بأنه قتل كثيراً من مجاهدي «حماس» في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م!

حكم الالتحاق بجيش الاحتلال:

التحاق المسلم بجيش الكيان الصهيوني حرام شرعاً، وهو من أعظم الذنوب عند الله تعالى، وهو خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧)، وأي خيانة أعظم من أن ينضم من ينتسب إلى الإسلام إلى أعدائه، بل ويحارب أمته والمؤمنين، قاصداً بذلك نصرة الكفار على المؤمنين، مختاراً لذلك، لأجل مال أو منصب أو جاه أو عرض من الدنيا زائل؟!

إن الانتماء إلى الإسلام لا يعني فقط النطق بالشهادتين، أو أداء الشعائر الظاهرة، بل هناك مقتضيات وموجبات للنطق بشهادة التوحيد، ومن أهمها موالاة المؤمنين، ومعادة الكافرين، وقد أبان الله تعالى عن تلك الفئة الباغية الخائنة لله وللأمة، وأظهر خبثها وأنها تسارع إلى الكفار خشية هزيمة المسلمين، فيأمنون جانبهم ويكونون معهم، وهو خبث في النفس، وحقارة في القصد، فما الذي يدريهم لعل الله يكتب النصر

للمؤمنين، وساعتها سيندمون على خذلانهم وخيانتهم، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة).

وقد بشر الله تعالى هؤلاء بالخزي في الحياة الدنيا والخلود في العذاب يوم القيامة جزاء خيانتهم وغدرهم، كما قال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ٨٠ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَـكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (المائدة).

والمشاركون ممن ينتسبون إلى الإسلام في جيش الكيان الصهيوني مرتدون عن الإسلام بحرب المسلمين وقتلهم، وبذلك قال أئمة الإسلام، جاء في «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٠٠): «قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، ومن يتولَّ اليهود والنصارى دون المؤمنين، فإنه منهم، يقول: فإن من تولاهم ونصرَهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متولٍّ أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رضيه ورضي دينَه، فقد عادى ما خالفه وسَخطه، وصار حكُمه حُكمَه».

وقال ابن حزم في «المحلى» (١١/ ١٣٨): «صح أن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين».

وقال ابن تيمية في كتاب «الإيمان» (ص ١٨): «قوله تعالى: ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمناً، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم».

التحاق المسلم بجيش الكيان الصهيوني حرام شرعاً وهو من أعظم الذنوب وخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين

المشاركون ممن ينتسبون إلى الإسلام بجيش الكيان الصهيوني مرتدون عن الإسلام بحرب المسلمين وقتلهم

إذا ثبت أن المسلم اشترك مع العدو الكافر وقاتل المسلمين وقتل منهم فإنه يُقتل لأنه قاتل لمسلم بغير ذنب

وقال الشيخ ابن باز: «وقد أجمع علماء الإسلام على أنَّ من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم» (مجموع الفتاوى والمقالات، ١/ ٢٧٤).

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير في علم التفسير» (١/ ٥٥٨): «قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: من يتولهم في الدين، فإنه منهم في الكفر، والثاني: من يتولهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر».

وقد عد الشيخ محمد بن عبدالوهاب التيمي نواقض الإسلام عشرة، ومنها الناقض الثامن؛ وهو موالاة الكافرين على المؤمنين، فقال: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وهو كذلك ما يعبر عنه الشيخ السعدي بـ«التولي التام»، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: إن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون العبد منهم.

ولكن يشترط في ذلك أن يكون حباً لدينهم على دين الإسلام، ورضا بعقائدهم الفاسدة، فهذا كفر باتفاق العلماء، أما معاونتهم دون حب دينهم فمحل خلاف في تكفيره، مع الاتفاق على أنه من أعظم الكبائر العظام.

على أنه إذا ثبت أن المسلم إذا اشترك مع العدو الكافر وقاتل المسلمين وقتل منهم؛ فإنه يقتل؛ لأنه قاتل لمسلم بغير ذنب، وإذا كان المسلم يقتل بقتل أخيه المسلم في الأحوال العادية، فإن قتله في الحرب أوجب.

أما التجسس من بعض المسلمين لحساب الكفار فهو لا يوجب التكفير ولا القتل، بل يوجب التعزير.

وقد أجاب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة عن سؤال هارون الرشيد فيما يتعلق بالحكم في الجواسيس، فقال: «وسألت يا أمير المؤمنين عن الجواسيس يوجدون وهم من أهل الذمة أو أهل الحرب أو من المسلمين، فإن كانوا من أهل الحرب أو من أهل الذمة ممن يؤدي الجزية من اليهود والنصارى والمجوس فاضرب أعناقهم، وإن كانوا من أهل الإسلام معروفين فأوجعهم عقوبة، وأطل حبسهم حتى يحدثوا توبة» (الخراج لأبي يوسف، ص ٢٠٥ - ٢٠٦)، والتعزير يكون بما دون القتل من الحبس أو الضرب والإيذاء ونحو ذلك، ولكن لا يُقتل، وذلك أن توبته أحب إلى الله، وأن يموت على طاعة خير من أن يموت على معصية.

وإن اشتراك المسلم في جيش الكفار من المحرمات التي لا يجوز الاختلاف حولها، ومن الجرائم التي توجب العقوبة، وقد ثبت عند كل البشر أن انتقال الإنسان إلى أعداء وطنه وقتاله ضد أبناء ملته وشعبه من الخيانة العظمى التي يوجب عليها القانون العقوبة المغلظة، فكيف إذا كان خائناً لله ولرسوله ولدينه قبل خيانته لأرضه وشرفه؟!■

الدراما العربية في مواجهة المشروع الصهيوني.. تمدد وانحسار وعودة على استحياء

استُخدمت القضية الفلسطينية ومواجهة المشروع الصهيوني على مدار عقود من قبل الأنظمة العربية المختلفة لتعزيز قبضة هذا النظام أو ذاك على شعبه، وأدت الدراما دوراً مهماً في تصدير بعض الأنظمة كقادة للأمة، ومدافعين عن المقدسات الإسلامية والعربية، وتراوح الترويج لتلك الأنظمة وفق مراحل متعددة؛ فتارة يتم تقديمهم كقادة محررين لا يقلون عن القادة العظام أمثال صلاح الدين، وبيبرس، وتارة أخرى يتم الترويج عبر الدراما التي يصدرونها للتعايش والسلام والتمهيد للتطبيع مع الكيان المحتل، وفي كل الأحوال الدراما حاضرة وجاهزة لتأطير الشعوب وحفزها على مؤازرة النظام.

إمـــام الليثـــي

«كن مهاباً خير من أن تكون محبوباً»، نصيحة مكيافيلي للأمراء الإيطاليين، التي ظلت سائدة حتى نهايات الحرب العالمية الثانية، لتبدأ الدول العظمى في سلوك منهجية جديدة تبحث من خلالها استخدام القوى الناعمة؛ من ثقافة ورياضة وفنون، فجمعت بين البطش والسيطرة النفسية على الخصم، ليتبلور المصطلح كمصطلح علمي عام ١٩٩٠م على يد عالم السياسة جوزيف ناي تحت عنوان «قوة الجاذبية»؛ بأن تكون جذاباً للآخرين، وأن تضعهم في صفك دون استخدام قوة السلاح أو بشرائهم بالمال.

بالعودة إلى قواعد القوة الناعمة الأولى، فإن الدراما بأنواعها المختلفة تندرج ضمن الوسائل الثقافية للقوة الناعمة لأيّ دولة أو جهة، وحتى تكون هذه الوسيلة الثقافية فعَّالة داخلياً وخارجياً فعليها أن تخاطب الجمهور بالطريقة التي تناسبه وباللغة التي يفهمها كذلك، بالإضافة إلى وجوب حملها مضامين تؤثّر في هذا المتلقي سواء كان داخلياً أم خارجياً، وكذلك وضعها في قوالب تجعل من المتابع غير المطلع يفهمها بسهولة وانسيابية دون الحاجة للبحث والتعقيد.

وبنظرة فاحصة على المنتج الدرامي العربي ودوره في مواجهة المشروع الصهيوني ودعم القضية الفلسطينية، سنجد أن دول الطوق (مصر، سورية، الأردن، لبنان) كان لها قصب السبق في استخدام الدراما كقوة ناعمة، غير أنها استخدمتها في إطار توجيه للجمهور العربي، فالأنظمة مارست جذب شعوبها وحشدها لتبني وجهة نظرها تجاه المشروع الصهيوني، بل وجعلها تتماهى مع توجهات الدولة سواء كانت هذه التوجهات تصب في اتجاه معاداة المشروع، أو التطبيع معه، ووفق

المرحلة الزمنية وحالة المواجهة العسكرية معه.

تطور الاشتباك الدرامي مع المشروع الصهيوني:

كان للسيطرة الحكومية على وسائل البث والإنتاج الفني في الدول العربية، والتزام هذه الدول رسمياً بمعايير المواجهة مع المشروع الصهيوني ومقاطعة دولة الاحتلال، وعدم التطبيع معها، أثر كبير في المنطقة التي عملت في بادئ الأمر ومنذ عام ١٩٤٨م وحتى توقيع اتفاقية «كامب ديفيد» على منع الاختراق للدراما العربية، ومن ثم المحافظة على مناخ العداء للصهاينة، وظل الجمهور العربي لعقود طويلة بعيداً عن التعرض للأعمال الفنية التي تدمج الصهاينة في المنطقة، وتجعل من التعامل معهم اقتصادياً وسياسياً من ضرورات التعايش السلمي، وظلت دول الطوق محافظة على تصدير رسائل محددة تؤكد ثوابت الصراع وارتباطها بالهوية العربية.

لم تتأثر السردية الرئيسة التي حملتها معظم أعمال الدراما العربية أو تتراجع، رغم الهزائم المتتالية للجيوش العربية، بل كانت تتناول الهزيمة في إطار استمرارية الصراع مع المشروع الصهيوني، وعرضت خلال مسيرتها الانتصارات الجزئية التي حققتها وحدات من تلك الجيوش لتبث الأمل في النفوس وتحفزها على المواجهة، وكان التركيز على الانتصارات المخابراتية هو الأبرز.

بدأ انكسار موجة مواجهة المشروع الصهيوني مع أول انتصار شكلي للجيش المصري في مواجهة جيش الاحتلال عام ١٩٧٣م، ومع توجه الرئيس الراحل أنور السادات شطر «كامب ديفيد» عام ١٩٧٨م سعى النظام المصري لاستخدام الفن والدراما لإقناع الرأي العام المصري والعربي بالمعاهدة، وأخطر ما يمكن رصده في تلك المرحلة هو تبرير الانكفاء القُطري على الذات الذي ابتدعته المخيلة الدرامية المصرية الذي سيتحول فيما بعد وخصوصاً بعد غزو العراق للكويت، ليتم التأسيس لمرحلة من التغير في الدراما العربية من الصراع مع المشروع الصهيوني، ومع ذلك

منذ عام ١٩٤٨م وحتى «كامب ديفيد» عملت الأنظمة على منع الاختراق للدراما العربية واستمرار العداء للصهاينة

بعد «الربيع العربي» اشتدت موجة الهجوم على المقاومة في الدراما المصرية التي راحت تقدم رسائل تحريضية ضدها

بطولات معركة «طوفان الأقصى» أجبرت صناع الدراما على تقديم إشارات ورسائل إيجابية تجاه المقاومة الفلسطينية

ظلت الدراما العربية تتأرجح بين المواجهة مع المشروع الصهيوني وإظهار جرائمه بحق الفلسطينيين، وخدمة التطبيع مع هذا المشروع سواء على استحياء أو بسفور في بعض الأحيان.

فسنجد تنوعاً في نهاية التسعينيات وبداية الألفية في السينما المصرية بين تقديم القضية الفلسطينية ولو هامشياً في بعض الأعمال، مثل فيلم «صعيدي في الجامعة الأمريكية»، «أصحاب ولا بيزنس»، وتحذير بعضها من التغلغل الصهيوني والتطبيع مثل فيلم «فتح عينيك»، «أحلام عمرنا»، وبين الدراما السورية التي قدمت «التغريبة الفلسطينية»؛ وهو العمل الأكثر عمقاً الذي عالج القضية بأبعادها الإنسانية والتاريخية والنضالية المختلفة.

بينما جاءت أعمال أخرى لتروج ولو على استحياء لضرورة التطبيع مع الاحتفاظ بالعداء، ومن هذه الأعمال نجد فيلم «أولاد العم»، وفيلم «السفارة في العمارة»، ونجد أيضاً مسلسل «فرقة ناجي عطا الله»، كما حاولت بعض المسلسلات في تلك الفترة أن تطبع مع الشخص اليهودي فقدَّمها مسلسل «باب الحارة» كشخصية مسالمة تنشر السلام في المجتمع.

«الربيع العربي».. ودراما التطبيع:

فرضت أحداث «الربيع العربي» نفسها على الساحة العربية، وتنبهت الأنظمة إلى خطورة امتداد هذه الموجة أو تجددها بعد إفشالها، فازداد التقارب بين النظم الرافضة لـ«الربيع العربي» والكيان الصهيوني، وانعكس الموقف على حركات المقاومة، واشتدت موجة الهجوم عليها بشكل كبير في الدراما المصرية التي راحت تقدم رسائل تحريضية ضدها.

ولحقت دول خليجية بركب الدراما المتقاربة مع المشروع الصهيوني؛ فظهرت مسلسلات تحض على التطبيع مع هذا المشروع، وحاولت الدراما تقديم سردية جديدة لليهودي الطيب الذي أراد أن يعيش في سلام على أرض وطنه، لكنه اضطر للرحيل بسبب الاضطهاد، ولعل مسلسل «حارة اليهود» كان الأكثر فجاجة في هذه المرحلة، وجاءت خدمة المشروع الصهيوني درامياً بعد «الربيع العربي» لتقدم رسالتين هما الأخطر في مسار الصراع؛ الأولى كانت شيطنة المقاومة الفلسطينية تحديداً، والثانية ربط كل من يساعد تلك المقاومة بالإرهاب و«الداعشية» وترويج المخدرات.

«طوفان الأقصى».. وعودة على استحياء:

مسار المواجهة وامتداد الحرب بعد البطولات التي قدمتها المقاومة في معركتها الدائرة منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م «طوفان الأقصى» أجبر صناع الدراما على تقديم بعض الإشارات والرسائل على استحياء في مسلسلات رمضان لعام ٢٠٢٤م، فقدمت بعض المسلسلات دعوة للمقاطعة للشركات الداعمة والدول الداعمة للكيان الصهيوني، واضطرت أن تنتج مسلسل «مليحة» ليروي قصة فتاة هجرت عام ٢٠٠٠م من غزة وبقيت في ليبيا مع جدها حتى سقوط القذافي، لتقرر العودة، روى المسلسل قصة احتلال فلسطين، وفي خط موازٍ روى قصة مساعدة مصر لفلسطين، رغم أنه لم يكن إيجابياً بشكل كبير فإنه خطوة جديدة منذ أن تراجعت الدراما في مواجهة المشروع الصهيوني وإن كانت على استحياء.■

اليهود.. البداية والنهاية (10)
بنو إسرائيل ونبي الله عيسى عليه السلام

الشيخ خالد آل عبد اللاه
داعيـــــة إسلامـــــي

اليهود.. وميلاد المسيح:

ولد نبي الله عيسى عليه السلام في بيت لحم، بالقرب من بيت المقدس، في ظروف تحوطها الكرامات الإلهية، والمعجزات الربانية، حيث حملت به أُمه بكلمة من الله تعالى، ثم أنطقه الله في المهد، ليعلن عبوديته لربه، وطهارة أمه البتول، وما هيأته له الأقدار من الحكمة والنبوة والبر والدعوة إلى الله تعالى، وفقاً لما فصله عنه القرآن في سورتي «مريم» و«آل عمران».

لكن ذلك لم يرُق لبني إسرائيل، حيث اتهموا مريم بالزنى، وجهروا في حقها وولدها بالسوء من القول، حتى كانوا يسمونه ابن البغية، إذ زعموا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قد حملت به أمه سفاحاً، وهو ما سجلوه في تلمودهم حيث قالوا: «يسوع النصارى موجود في لجات الجحيم بين القار والنار! وأمه مريم قد أتت به من العسكري باندارا سفاحاً»[1].

اليهود حاولوا التخلص من عيسى وهو صغير بإخبار الملك هيرودس فأمر بقتل كل صبي يولد في بني إسرائيل

اليهود.. ونشأة عيسى عليه السلام:

يقول د. محمد الطيب النجار: «ولما بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب، فكان خير مثال للفطنة والذكاء، ولاحت عليه مخايل النجابة حتى أصبح مضرب الأمثال في زمانه، ويُروَى أنه كان يرى العجائب في صباه إلهاماً من الله، ففشا ذلك في اليهود فدبَّت إلى نفوسهم عقارب الحسد والغيرة، فتقوّلوا عليه الأقاويل، وتوعدوه بالهلاك والويل»[2].

لقد حاول اليهود التخلص من عيسى وهو صغير، فذهب المنجمون منهم وأخبروا الملك هيرودس أنه قد وُلد ملكُ اليهود الذي سيقوض أركان ملك ومملكة هيردوس، فأمر الملك بقتل كل صبي يولد في بني إسرائيل، كما وقع لموسى من قبل، فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى ربوة بعيدة، قيل: هي مصر، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠)، فبقيت هناك سنوات حتى مات هيرودس[3].

المسيح نشر دعوته إلى التوحيد بين اليهود بعدما بلغوا قمة الانحراف عن الشريعة التي نزلت على موسى

اليهود.. ونبوة عيسى عليه السلام:

أورد ابن كثير في التفسير عن وهب بن منبه أنه قال: لما بلغ عيسى ابن مريم ثلاث عشرة سنة، أمره الله أن يرجع من بلاد مصر، فاستجاب لذلك ورجع إلى إيليا (بيت المقدس)، وأقام بها حتى بلغ الثلاثين من عمره، وحينئذٍ ظهرت

على يديه المعجزات الخارقة، وعلَّمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.

ولم يذكر القرآن متى بدأت نبوة المسيح ابن مريم، إلا أن إنجيل برنابا قد ألمح إلى ذلك، كما جاء في الفصل العاشر: «أنه لما بلغ يسوع الثلاثين من العمر، صعد على جبل الزيتون مع أمه، وبينما كان يصلي لله إذا بنور باهر قد أحاط به، وعدد من الملائكة، فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة، فنزل في قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله، وما قال الله، وما يريد الله، ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبي مرسل إلى بني إسرائيل، كاشف مريم أمه بكل ذلك»[٤].

أخذ المسيح في نشر دعوته إلى التوحيد في مجتمع يهود بعدما بلغوا القمة في الانحراف عن الشريعة الربانية التي أنزلها الله على موسى، التي أكدها وبيَّنها كل من جاء بعده من الأنبياء، فجاء عيسى ليردهم مرة أخرى إلى شريعة الحق.

ففي إنجيل يوحنا (إصحاح ١٧، عدد ٣): «وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته»[٥].

يقول عبدالرحمن حبنكة: لكن اليهود رفضوا دعوته وأنكروا رسالته، فاصطدم عيسى بجدال الرؤساء الدينيين اليهود المنحرفين عن أصول الشريعة الربانية، فحاجَّ الفرِّيسيين، والكتبة، والكهنة، والصدوقيين، فأفحمهم بحججه البالغة، وبين فساد طريقتهم، وفضح رياءهم وخبثهم، حتى ضاقوا به ذرعاً، فاجتمع الأحبار والعظماء، وقالوا: إننا نخاف من عيسى أن يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس، فقال لهم رئيس الكهنة واسمه قيافا: لئن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره.

وكانت هذه فتوى منه باستباحة دم المسيح ابن مريم، فسعوا لدى الحاكم الروماني في فلسطين بيلاطس النبطي، وحرضوه على قتله، فما زالوا يزينون له شكواهم ضده، ويوغرون صدره على المسيح، حتى قرر الحاكم الروماني التخلص منه بقتله وصلبه، فلما علم عيسى بذلك اعتزل الناس ودخل إلى أورشليم القدس فتلقاه الحواريون هناك، فقال لهم: «إن بعضكم ممن يأكل ويشرب معي يدل عليَّ!».

ثم دخل بتلاميذه إلى مكان اجتماعهم المعهود، وكان يهوذا الإسخريوطي وهو أحد

بعدما رُفع المسيح تفرق الحواريون بالبلاد يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان بالمسيح عبداً ورسولاً

«بولس» اليهودي استطاع أن يتلاعب بأصول المسيحية وأن يحرِّف ويبدِّل فيها وفق مخطط يهودي محكم

تلاميذه الاثني عشر يعرف ذلك المكان، فلما دخل أعوان الحاكم هذا المكان ألقى الله شبه المسيح على يهوذا الإسخريوطي، الذي كان يدل على مجلس اجتماعهم، وغشى الله على أعينهم فلم يروا عيسى، فقتلوا يهوذا وصلبوه، فلما انكشف الأمر بعد الصلب، أخفوا ذلك لئلا يؤمن الناس بديانة عيسى وبصدق نبوته ورسالته[٦].

وأكد القرآن هذه الواقعة، وأثبت نجاة عيسى من القتل والصلب بقوله تعالى:﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (النساء).

اليهود.. وتلاميذ المسيح:

وبعدما رُفع المسيح تفرق الحواريون في البلاد يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالمسيح عليه السلام عبداً لله ورسولاً، فآمن على أيديهم فئام من الناس؛ فحنق اليهود عليهم، وحرضوا عليهم الملوك والحكام بتهمة أنهم يريدون إفساد المُلك، والخروج عن الطاعة، فنكلوا بهم أشد التنكيل، وساموهم سوء العذاب، وأنزلوا بهم ألوان القتل والاضطهاد.

دور بولس اليهودي في تحريف النصرانية:

وكان من أشد اليهود حقداً على أتباع عيسى رجل اسمه شاول الذي سمى نفسه «بولس»، كان كثير الإيذاء والاضطهاد لهم، كان يسطو على الكنائس ويسوق أصحابها إلى السجن، ويعذب ويقتل كل من يتبع دين عيسى ابن مريم، كان على ذلك زمن عيسى، وبعد رفعه أيضاً بزمن، ثم أعلن بشكل مفاجئ اتباعه للنصرانية، وادعى أن يسوع هبط عليه بنوره العظيم، وقال له: لماذا تضطهدني؟ فقال له وهو متحير: يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال: قم وكرز بالمسيحية، ومنذ ذلك الحين نشط بولس بالدعوة إلى المسيحية، معلناً أن عيسى هو ابن الله، حتى صار المعلم الأول للمسيحية، وأحد الرسل السبعين الذين نزل عليهم روح القدس بعد رفع المسيح، لا سيما أنه أقنعهم بأنه يتلقى تعاليمه إلهاماً من المسيح، حيث استطاع بهذه الدعوى أن يتلاعب بأصول الديانة، وأن يحرف ويبدل فيه وفق مخطط يهودي محكم.

فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون:

من الواضح جداً أن اليهود اتبعوا مع نبي الله عيسى ذلك المنهج الإجرامي الذي يتماشى مع طبيعتهم وفطرتهم الملوثة، منذ ولادته حتى رفعه الله إليه، منهج الاتهام والتشنيع، ومنهج الرفض والتكذيب والقتل لأنبياء الله ورسله، فحاولوا قتله أكثر من مرة، كما قتلوا زكريا، ويحيى، عليهما السلام، وغيرهما من الأنبياء قبله، لكن الله رفعه ونجاه من كيدهم، ثم تفرق أتباعه بمكيدة اليهود وخبثهم من أمة واحدة إلى ٣ فرق:

فقالت اليعقوبية: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء.

وقالت النسطورية: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه.

وقال الموحدون منهم: كان فينا عبدالله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه.

بقي لنا أن نتكلم عن موقف اليهود من الديانة النصرانية، في مقالنا القادم بإذن الله تعالى.■

الهوامش

(١) معركة الوجود، عبدالستار فتح الله.
(٢) تاريخ الأنبياء، محمد الطيب النجار.
(٣) فبهداهم اقتده، عثمان الخميس، بتصرف.
(٤) تاريخ الأنبياء، محمد الطيب النجار.
(٥) المرجع السابق.
(٦) مكايد يهودية، عبدالرحمن حبنكة الميداني (باختصار).

ثورة بنغلاديش.. من البداية إلى النهاية

في الخامس من أغسطس ٢٠٢٤م، قدمت رئيسة وزراء بنغلاديش الشيخة حسينة واجد استقالتها، على إثر احتجاجات حاشدة وموجة عنف دامية أودت بحياة ما يقرب من ٣٠٠ شخص خلال ٢٠ يوماً فقط، هذه الاستقالة جاءت نتيجة لضغوط هائلة من الشارع البنغالي، حيث انطلقت الاحتجاجات بداية من مطالبات طلابية بتعديل نظام الحصص في الوظائف الحكومية، إلا أن القمع العنيف الذي استخدمته الحكومة ضد الطلاب أدى إلى توسيع نطاق الحركة وانضمام مختلف شرائح المجتمع إليها.

دكا ـ محمد شعيب:

هذه أبرز الأحداث التي أدت إلى سقوط حكومة الشيخة حسينة في بنغلاديش:

بدأت الاحتجاجات في ٢ يوليو ٢٠٢٤م في دكا مطالبة بإلغاء نظام الحصص في الوظائف الحكومية، حيث كانت هذه الحصص محجوزة بنسبة ٥٦% لفئات مختلفة، وهو ما اعتبره الطلاب نظاماً تمييزياً يضر بمبدأ الجدارة في التوظيف، رغم أن الحكومة ألغت الحصص في عام ٢٠١٨م، فإن المحكمة العليا أعادت العمل بها بعد تلقي التماسات من بعض الضحايا، رفض الطلاب انتظار نتائج الاستئناف وطالبوا بإلغاء الحصة عبر أمر تنفيذي.

وفي ١٠ يوليو، نظم الطلاب اعتصامات في مفترقات طرق رئيسة؛ ما أدى إلى شلل حركة المرور على الطرق السريعة والسكك الحديدية، وفي ١٤ يوليو أثارت تصريحات الشيخة حسينة، التي كانت تدافع عن الحصص المخصصة لأحفاد المناضلين من أجل الحرية، غضب الطلاب الذين اعتبروها موجهة ضدهم، حينها بدأت مسيرات ليلية هتف فيها الطلاب ضد الحكومة.

وفي اليوم التالي هاجم نشطاءُ من رابطة «تشاترا» الطلابَ المناهضين للحصص في جامعة دكا؛ ما أدى إلى إصابة أكثر من ٣٠٠ شخص، وامتدت الاشتباكات إلى مناطق أخرى؛ ما أدى إلى سقوط قتلى.

وفي ١٧ يوليو، حاول الطلاب إقامة صلاة الغائب على أرواح الضحايا، لكن الشرطة هاجمت تجمعاتهم، وأغلقت الجامعات أبوابها وأمرت الطلاب بإخلاء السكن الجامعي، واندلعت على إثر ذلك أعمال عنف واسعة النطاق في دكا و١٩ منطقة أخرى خلال إضراب عام، أسفرت عن مقتل ٢٩ شخصاً، وأحرقت مرافق حكومية حيوية

وأغلقت المنشآت الرئيسة في العاصمة.

واشتدت أعمال العنف في ١٩ يوليو؛ حيث تم إحراق محطة مترو أنفاق وتخريب مبنى هيئة النقل العام، وأعلنت الحكومة حظر التجول ونشرت الجيش، لكن ذلك لم يمنع استمرار الاشتباكات التي أودت بحياة المزيد من الأشخاص.

وفي ٢١ يوليو، أمرت المحكمة العليا بتعديل نظام الحصص، لكن الأوضاع الأمنية ظلت متوترة، بعدها أصدرت الحكومة، في ٢٣ يوليو، إشعاراً رسمياً يعلن عن تخصيص حصص جديدة في الوظائف الحكومية تنفيذاً لحكم المحكمة العليا، ومع ذلك، رفض منظمو الحركة الطلابية هذا القرار، مؤكدين أن عدد القتلى المعلن قليل جداً مقارنة بالواقع، وأن الإصلاحات جاءت بعد فوات الأوان، ووفقاً لصحيفة «ديلي ستار»، فقد قُتل ١٤٦ شخصاً، استمرت الاعتقالات في صفوف زعماء المعارضة، بينما استؤنفت خدمة الإنترنت في بعض المناطق.

وفي ٢٥ يوليو، أعربت الولايات المتحدة وكندا والأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية عن قلقها، ودعت إلى وضع حد لحملة القمع، في اليوم نفسه، ظهرت الشيخة حسينة علناً لأول مرة بعد انتشار الجيش، وزارت محطة مترو الأنفاق المحترقة، وفي اليوم التالي ألقت شرطة المباحث القبض على ٣ من منظمي الحركة الطلابية، فيما دعا حزب «BNP» إلى الإطاحة بالحكومة، وقامت الشيخة حسينة بزيارة المستشفى لرؤية المصابين في أعمال العنف.

من جانبها، أصدرت البعثات الدبلوماسية لـ١٤ دولة غربية في دكا، في ٢٧ يوليو، رسالة مشتركة تدعو وكالات إنفاذ القانون إلى تحمل المسؤولية عن إساءة استخدام السلطة، وفي اليوم نفسه، تم اعتقال اثنين آخرين من منظمي الحركة، واستمرت الشرطة في اعتقال الطلاب.

وفي ٢٨ يوليو، أُعيد فتح الإنترنت عبر الهاتف المحمول، لكن القيود على منصات التواصل الاجتماعي لا تزال قائمة، في اليوم نفسه، تلا ٦ من منظمي الحركة الطلابية بيانات تطالب بوقف الحركة أثناء احتجازهم لدى جناح المخابرات، إلا أن آخرين تعهدوا بمواصلة الاحتجاجات، ليخرج المتظاهرون إلى الشوارع في جميع أنحاء البلاد، في ٢٩ يوليو، ووبخت المحكمة العليا جناح المخابرات على تعامله مع منظمي الحركة الستة.

وفي اليوم التالي، انضم المعلمون وأولياء الأمور إلى الطلاب في الحرم الجامعي للاحتجاج على مقتل المتظاهرين برصاص الشرطة، ووجه مواطنون بارزون اللوم للحكومة على القتلى.

وفي ٣١ يوليو، أعلنت الحكومة «يوم حداد» على الضحايا، لكن الطلاب رفضوا هذا الإجراء، وقام أنصار الحركة الطلابية بتغيير صورهم على وسائل التواصل الاجتماعي إلى اللون الأحمر، تعبيراً عن رفضهم للحكومة، كما علق الاتحاد الأوروبي المفاوضات بشأن الشراكة مع بنغلاديش.

ردت الحكومة البنغالية على هذه الأحداث بحظر «الجماعة الإسلامية» وذراعها الطلابية «إسلامي تشاتراشبير»، في ١ أغسطس، ووصفتها بأنها منظمة إرهابية، وأطلقت الشرطة سراح ٦ من منظمي الحركة الطلابية المناهضة للتمييز، فيما اقترحت الأمم المتحدة إرسال بعثة لتقصي الحقائق، فيما استمرت الاحتجاجات ضد أعمال القتل، مع استمرار الغضب الشعبي.

وفي ٣ أغسطس، في تجمع حاشد في دكا، طالب المنظمون الطلابيون باستقالة الشيخة حسينة وتشكيل «حكومة وطنية» برئاسة شخص «مقبول من الجميع»، واقترحت حسينة إجراء محادثات وشكلت لجنة من ٣ أعضاء، لكن الطلاب رفضوها، وأعلن الطلاب و«رابطة عوامي» عن خطط لتنظيم مسيرات واحتجاجات في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي ٤ أغسطس، اندلعت اشتباكات واسعة النطاق في دكا وما لا يقل عن ٢١ مقاطعة في البلاد، وفقاً لتقارير وسائل الإعلام، قُتل ما لا يقل عن ٩٠ شخصاً في أعمال العنف، بمن في ذلك ١٣ شرطياً قتلوا في عملية إعدام خارج نطاق القانون في سراججانج، وفرضت الحكومة حظر التجول لأجل غير مسمى في جميع أنحاء البلاد، وأعلن طلاب من مختلف أنحاء البلاد عن خطط للتوجه نحو دكا لإجبار الحكومة على الاستقالة، فيما دعا الجيش والشرطة الناس إلى عدم خرق حظر التجول أو عصيان القانون.

وفي ٥ أغسطس، تجاهل آلاف الأشخاص من دكا والمناطق المحيطة حظر التجول ودخلوا المدينة من مختلف الاتجاهات، وحاول الجيش في البداية منع الحشود، لكنه تراجع فيما بعد؛ ما سمح للمتظاهرين بالدخول، وبحلول فترة ما بعد الظهر، وصل عدد كبير من المتظاهرين إلى دكا، حينها قدمت الشيخة حسينة خطاب استقالتها إلى الرئيس محمد أصحاب الدين، وغادرت مع شقيقتها الشيخ ريحانة بمروحية عسكرية إلى أجارتالا في الهند.

وهنا ظهر قائد الجيش البنغالي الجنرال وقار الزمان معلناً عن تشكيل حكومة مؤقتة بعد التشاور مع الرئيس، ووعد بتحقيق العدالة لـ٣٠٠ شخص قتلوا خلال ٢٠ يوماً من الاحتجاجات العنيفة، كما دعا الحشد المبتهج إلى الهدوء والعودة إلى منازلهم، ومع ذلك، قامت مجموعة من الأشخاص بمهاجمة عدة مكاتب، بما في ذلك متحف مخصص لمؤسس البلاد الشيخ مجيب الرحمن، الذي قُتل في انقلاب عسكري في ١٥ أغسطس ١٩٧٥م.

ضحايا الاحتجاجات:

خلال الاحتجاجات الطلابية العنيفة التي اجتاحت بنغلاديش، كشف العميد المتقاعد د. سخاوات حسين، مستشار الشؤون الداخلية في الحكومة المؤقتة بقيادة محمد يونس، في مقابلة مع «نورث إيست نيوز»، أن عدد القتلى أكثر من ألف شخص أثناء الحركة الطلابية في سائر البلاد، ولكن العدد الحقيقي

للضحايا تجاوز ٣ آلاف شخص في جميع أنحاء البلاد، رغم أن معظم الضحايا سقطوا في العاصمة دكا.

وأشارت بعض المصادر إلى أن بعض الجثث دفنت دون إبلاغ ذويها، فيما يبحث العديد من الأهالي بلا جدوى عن ذويهم من مستشفى إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى، كما أوضح أن بعض الجثث لا تزال في المشارح، حيث تولى فرع المباحث بشرطة دكا السيطرة على سجلات الجثث في المستشفيات فور وقوع الحوادث.

وأكد حسين أن قناصة مدربين تم نشرهم لقتل الطلاب، حيث أطلقوا النار من أسطح المباني، وأفاد بأن الأسلحة الفتاكة تم توفيرها من قبل حزب رابطة عوامي ومراكز الشرطة إلى جناحي رابطة الطلاب ورابطة الشباب؛ ما أدى إلى عمليات قتل جماعي وعشوائي بحق المتظاهرين، هذه الحملة القمعية، التي استهدفت بشكل خاص الطلاب والشباب، كانت جزءاً من الجهود الحثيثة للحكومة السابقة لسحق الحركة الاحتجاجية.

تقرير الأمم المتحدة بشأن الاحتجاجات

ورد في تقرير صادر عن الأمم المتحدة مزاعم خطيرة وموثوقة حول استخدام مفرط وغير ضروري للقوة من قبل وكالات إنفاذ القانون لقمع الاحتجاجات والمظاهرات المتعلقة بحركة إصلاح الحصص في بنغلاديش، وأشار التقرير إلى أن الشرطة والقوات شبه العسكرية لجأت إلى استخدام القوة العشوائية ضد الاحتجاجات السلمية وحوادث العنف التي تلتها؛ ما أثار قلقاً دولياً بشأن انتهاكات حقوق الإنسان.

وأفاد التقرير، الذي جاء بعنوان «تحليل أولي للاحتجاجات والاضطرابات الأخيرة في بنغلاديش»، بأن قوات إنفاذ القانون استخدمت مجموعة متنوعة من الأسلحة الفتاكة، بما في ذلك الرصاص المطاطي والقنابل الصوتية، إضافة إلى الأسلحة التقليدية مثل البنادق، في مواجهة المتظاهرين، ووردت هذه المعلومات نقلاً عن مصادر إعلامية ومشاركين في الحركة الاحتجاجية، حيث أشار التقرير إلى أن ما لا يقل عن ٦٥٠ بنغالياً فقدوا حياتهم في الفترة ما بين ١٦ يوليو و١١ أغسطس، خلال الاحتجاجات وأعمال العنف اللاحقة، وتم نشر التقرير من قبل مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان في جنيف.

وأعلن المفوض السامي لحقوق الإنسان فولكر تورك، في رسالة مصورة من جنيف، أن بنغلاديش أمام فرصة تاريخية لتشكيل حكومة شاملة تقوم على أساس احترام حقوق الإنسان وسيادة القانون، وأكد ضرورة محاسبة المسؤولين عن انتهاكات حقوق الإنسان والصراعات التي شهدتها البلاد.

ووفقًا للتقرير، بدأت الاحتجاجات السلمية في بنغلاديش في منتصف يونيو كرد فعل على إعادة العمل بنظام الحصص في الوظائف الحكومية، حيث تأثرت الحركة سلباً بالوضع الاقتصادي المتدهور وارتفاع معدلات البطالة، وقد أسفرت هذه الحركة عن مقتل مئات الأشخاص، من بينهم ما لا يقل عن ٣٢ طفلاً، فضلاً عن إصابة الآلاف بجروح نتيجة للعنف والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

كما وثق التقرير مقتل ما يزيد على ٦٠٠ شخص بين ١٦ يوليو و١١ أغسطس، حيث أفادت التقارير بمقتل حوالي ٤٠٠ شخص خلال الفترة من ١٦ يوليو إلى ٤ أغسطس، بينما لقي حوالي ٢٥٠ شخصاً حتفهم خلال يومي ٥ و٦ أغسطس، ورغم عدم وجود إحصاءات دقيقة لعدد القتلى، فإن الحصيلة المعلنة قد تكون أقل من العدد الفعلي بسبب حظر التجول وإغلاق الإنترنت والقيود المفروضة على حركة المواطنين، فضلاً عن محاولات الحكومة منع المستشفيات من تقديم معلومات حول عدد القتلى والجرحى.

وفي إطار التحليل الأولي الذي قدمته مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، تم تقديم عدة توصيات للأطراف السياسية والحكومة المؤقتة والمجتمع الدولي، ودُعيت الأحزاب السياسية إلى تهدئة الوضع وتجنب المزيد من العنف، وضمان حرية التعبير والتجمع السلمي، وحماية حقوق الأقليات.

أما الحكومة المؤقتة، فقد أوصيت بتطبيع وضع القانون والنظام وفقاً لمعايير حقوق الإنسان، مع الحد من استخدام القوة

من قبل قوات إنفاذ القانون، والامتناع عن نشر وحدات عسكرية مثل حرس الحدود البنغالي (BGB)، وكتيبة التدخل السريع (RAB) في الاحتجاجات، كما تم التشديد على أهمية إجراء تحقيقات شفافة ومستقلة في جميع الأحداث الأخيرة، وضمان محاسبة المسؤولين عن انتهاكات حقوق الإنسان.

وعلى المجتمع الدولي، دُعي إلى دعم بنغلاديش في ضمان حقوق الإنسان الأساسية، وتقديم المساعدة في البحث عن المعلومات والمساءلة لضمان تعويض الضحايا وإصلاح المؤسسات الأمنية.

التحقيق الأممي:

قالت الأمم المتحدة: إنها ستقوم بشكل مستقل في بنغلاديش للتحقيق في الأحداث الأخيرة، بما في ذلك حالات القتل المرتبطة بالاحتجاجات، وأعلن مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان فولكر تورك أن فريقاً من ٣ أعضاء برئاسة روري مونجوفن، رئيس منطقة آسيا والمحيط الهادئ في مكتب المفوضية السامية، سيزور بنغلاديش لمناقشة تفاصيل التحقيق الأولي، وسيتوجه الفريق إلى دكا للتشاور مع المشاركين، وتحديد إطار العمل، والشروط اللازمة للبدء في التحقيق.

ووفقاً لمصادر دبلوماسية في دكا وجنيف، هناك ٣ طرق يمكن من خلالها للأمم المتحدة تنفيذ هذا التحقيق:

١- إرسال فرق لتقصي الحقائق مباشرة للتحقيق في الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

٢- تقديم عضو مؤثر في الأمم المتحدة اقتراحاً لمجلس حقوق الإنسان لإرسال بعثة تحقيق.

٣- إرسال بعثة لتقصي الحقائق بناء على طلب من الدولة المعنية.

وأكد تورك ضرورة وجود توافق وطني لضمان المساءلة عن انتهاكات حقوق الإنسان وتحقيق العدالة للضحايا، مع التأكيد على أهمية بناء دولة خالية من جميع أشكال الانتهاكات والتجاوزات.■

ملخص الأحداث في سطور

- في ٢ يوليو ٢٠٢٤م: بدأ الطلاب الاحتجاجات في دكا مطالبين بإلغاء نظام الحصص في الوظائف الحكومية.

- ١٢ يوليو: نظم الطلاب اعتصامات في مفترقات طرق رئيسة؛ ما أدى إلى شلل حركة المرور على الطرق السريعة والسكك الحديدية.

- ١٤ يوليو: أثارت تصريحات الشيخة حسينة واجد التي كانت تدافع عن الحصص المخصصة لأحفاد المناضلين من أجل الحرية غضب الطلاب.

- ١٥ يوليو: هاجم نشطاء من رابطة تشاترا الطلاب المناهضين للحصص في جامعة دكا؛ ما أدى إلى إصابة أكثر من ٣٠٠ شخص.

- ١٨ يوليو: اندلعت أعمال عنف واسعة النطاق في دكا و١٩ منطقة أخرى، وأحرقت مرافق حكومية حيوية وأغلقت المنشآت الرئيسة بالعاصمة.

- ١٩ - ٢١ يوليو: اشتدت أعمال العنف، وأحرقت محطة مترو أنفاق، وخرب مبنى هيئة النقل العام، وأعلنت الحكومة حظر التجول ونشرت الجيش.

- ٢١ يوليو: أمرت المحكمة العليا بتعديل نظام الحصص، لكن الأوضاع الأمنية ظلت متوترة واستمرت الاحتجاجات.

- ٢٣ يوليو: أعلنت الحكومة البنغالية عن تخصيص حصص جديدة في الوظائف الحكومية تنفيذاً لحكم المحكمة العليا.

- ٢٣ يوليو: رفض منظمو الحركة الطلابية القرار مؤكدين أن الإصلاحات جاءت بعد فوات الأوان.

- ٢٥ يوليو: أعربت الولايات المتحدة وكندا والأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية عن قلقها، ودعت إلى وضع حد لحملة القمع.

- ٢٦ يوليو: ألقت شرطة المباحث القبض على ٣ من منظمي الحركة الطلابية.

- ٢٧ يوليو: دعت البعثات الدبلوماسية لـ١٤ دولة غربية في دكا وكالات إنفاذ القانون إلى تحمل المسؤولية عن إساءة استخدام السلطة.

- ٢٨ يوليو: طالب ٦ من منظمي الحركة الطلابية بوقف الحركة أثناء احتجازهم لدى جناح المخابرات، إلا أن آخرين تعهدوا بمواصلة الاحتجاجات.

- ٢٩ يوليو: خرج المتظاهرون إلى الشوارع في جميع أنحاء البلاد، ووبخت المحكمة العليا المخابرات على تعاملها مع منظمي الحركة الستة.

- ٣٠ يوليو: انضم المعلمون وأولياء الأمور إلى الطلاب في الحرم الجامعي للاحتجاج على مقتل المتظاهرين برصاص الشرطة.

- ١ أغسطس: حظرت الحكومة حزب «الجماعة الإسلامية» وذراعها الطلابية «إسلامي تشاتراشبير»، ووصفتها بأنها منظمة إرهابية.

- ٣ أغسطس: طالب المنظمون الطلابيون باستقالة حسينة وتشكيل «حكومة وطنية»، واقترحت حسينة إجراء محادثات وشكلت لجنة من ٣ أعضاء لكن الطلاب رفضوها.

- ٤ أغسطس: اندلعت اشتباكات واسعة النطاق في دكا وما لا يقل عن ٢١ مقاطعة، وقُتل ما لا يقل عن ٩٠ شخصاً في أعمال العنف، ومقتل ١٣ شرطياً.

- ٥ أغسطس: تجاهل آلاف الأشخاص حظر التجول ودخلوا دكا من مختلف الاتجاهات، وحاول الجيش في البداية منعهم لكنه تراجع.

- ٥ أغسطس: قدمت حسينة استقالتها إلى الرئيس محمد أصحاب الدين، وهربت مع شقيقتها بمروحية عسكرية إلى أجارتالا في الهند.

- ٥ أغسطس: أعلن قائد الجيش الجنرال وقار الزمان عن تشكيل حكومة مؤقتة بعد التشاور مع الرئيس، ووعد بتحقيق العدالة لـ٣٠٠ شخص قتلوا.■

في ذكرى تأسيسه.. تحديات حقيقية أمام «العدالة والتنمية» التركي

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

يمثل حزب العدالة والتنمية في تركيا ظاهرة سياسية فريدة لم يسبقه لها حزب سياسي آخر في تاريخ الجمهورية الحديثة، لا من حيث طول مدة الحكم بشكل متواصل (٢٢ عاماً)، ولا من حيث الإنجازات التي حققها لا سيما في العشرية الأولى؛ اقتصادياً واجتماعياً وديمقراطياً، وفي السياسة الخارجية ومجالات الإصلاح عموماً.

بيد أن مؤشر الحزب في تراجع ملحوظ في السنوات الأخيرة، منذ عام ٢٠١٦م على أقل تقدير، من حيث وتيرة الإصلاحات من جهة، وشعبيته في الشارع المنعكسة في صناديق الانتخابات من جهة أخرى، فرغم أن الناخب التركي لم يفضّل حتى اللحظة رئيساً غير رجب طيب أردوغان (على تراجع واضح تمثل في منافسة كليجدار أوغلو له وحسم المنافسة في جولة إعادة)، فإن العدالة والتنمية كحزب في تراجع نسبي مستمر منذ عام ٢٠١٧م، وقد خسر بلديتي إسطنبول وأنقرة في الانتخابات المحلية عام ٢٠١٩م.

في الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأخيرة، فاز الرئيس أردوغان (رئيس الحزب) بولاية رئاسية جديدة وتحالف الجمهور الذي يقوده بأغلبية مقاعد البرلمان، لكن ذلك لم يحجب الأسئلة المشروعة عن مستقبل الحزب والتحديات التي ستواجهه في الفترة المقبلة، التي أعادت طرح نفسها في ذكرى تأسيسه في ١٤ أغسطس الماضي (التأسيس كان عام ٢٠٠١م).

أهم هذه التحديات، من وجهة نظرنا، أربعة:

الأول: الاقتصاد: استلم العدالة والتنمية في عام ٢٠٠٢م اقتصاداً منهاراً ودولة عاجزة ومثقلة بالديون، ثم كانت أهم بصماته وإنجازاته في المجال الاقتصادي، فرغم النقاش القائم حول سياساته الاقتصادية، فإن أحداً لا ينكر القفزات الاقتصادية الضخمة التي حققها الحزب في سنواته الأولى وحتى عام ٢٠١٣م على أقل تقدير، من حيث ارتفاع الدخل القومي ومتوسط دخل الفرد والتضخم ودين صندوق النقد الدولي وغيرها من المؤشرات.

بيد أن هذه البصمة الواضحة تراجعت بشكل ملحوظ في السنوات اللاحقة، وتحولت لأكبر تحدٍّ يواجه الحزب، لا سيما مع المشكلات المرتبطة بالاقتصاد في السنوات الأخيرة، من حيث تراجع سعر صرف الليرة والقوة الشرائية وارتفاع نسبة التضخم وغلاء الأسعار وغير ذلك من مؤشرات تركت آثارها العميقة على المواطن في حياته اليومية.

ولئن أشار الحزب مراراً للضغوط الخارجية كأهم أسباب المشكلات الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وهي قائمة فعلاً، إلا أنه عاد ليشير إلى مشكلات بنيوية في الاقتصاد ينبغي معالجتها، كما أنه -كرئاسة وحكومة- يتحمل جزءاً لا بأس به في طريقة إدارة الأزمة من حيث الإصرار على خفض نسبة الفائدة ثم رفعها (نظريتان متناقضتان في الاقتصاد) ومن حيث التغيير المستمر لوزير المالية ومحافظ المصرف المركزي.

اليوم، بعد الانتخابات ومع ذكرى التأسيس، ثمة مقارنات تطرحها المعارضة بين المؤشرات الاقتصادية الحالية وتلك

التي كانت في عام ٢٠٠١م، ويدرك الحزب أن أهم وأخطر التحديات التي تواجهه تتمثل في الاقتصاد، وأنه كان السبب الأبرز على الأغلب في تراجعه في الانتخابات.

الثاني: التجديد وكسب الثقة: في عدة استحقاقات انتخابية منذ الاستفتاء على التعديل الدستوري الذي أقر النظام الرئاسي في أبريل ٢٠١٧م، تتراجع نسبة تأييد الحزب الحاكم في الانتخابات، ويعدُ الرئيس أردوغان بعد كل منافسة انتخابية بدراسة «رسائل الصندوق»، كما يسميها، وهي أسباب عزوف بعض الناخبين عن التصويت للعدالة والتنمية، ثم التجاوب معها.

اليوم، يبدو الحزب مُطالَباً أكثر من أي وقت مضى بعملية مراجعة شاملة وتغيير حقيقية أعمق من مجرد تغيير أسماء بعض الشخصيات في الهيئات القيادية أو بعض الوزراء كما يحصل عادة، المطلوب عملية مراجعة لمنظومة أفكار الحزب وخطابه وبعض سياساته وتحالفاته.

تبدو المهمة هنا صعبة جداً حتى في حال توفرت لها الإرادة السياسية لدى أردوغان نفسه، إذ ستكون هناك عوامل كابحة ومقاومة من داخل الحزب نفسه قبل خارجه، ولذلك نضع هذا التحدي ضمن التحديات الرئيسة، لكنها أيضاً خطوات لا بد منها لاستعادة ثقة جزء مهم من الشارع التركي.

الثالث: سؤال الهوية: تأسس العدالة والتنمية حزباً إصلاحياً مكملاً لأحزاب وشخصيات إصلاحية في تاريخ تركيا الحديث مثل مندريس، وأوزال، وأربكان، في مواجهة أنظمة الوصاية التقليدية من جيش وقضاء وإعلام وغيرها، ورفع شعار مكافحة الفقر والفساد والحظر، لكنه مع الوقت، ومع تغير الظروف الداخلية والإقليمية ومع الأزمات والتحديات التي واجهها، إضافة لتحالفه مع حزب الحركة القومية ورغبته في استمالة التيار القومي المتصاعد في الشارع التركي، بات في السنوات القليلة الأخيرة أقرب لحزب قومي بخطاب يميني

الحزب مُطالَب بعملية مراجعة شاملة وتغيير أعمق من مجرد تغيير أسماء

خلافة الرئيس أردوغان تمثل التحدي الأكثر صعوبة أمام العدالة والتنمية

يقترب أحياناً من الشعبوية؛ وقد أفقده ذلك ثقة وتأييد جزء مهم من شريحة الإسلاميين والمحافظين، وابتعاد عدد مهم من القيادات المؤسِّسة.

اليوم، يقف الحزب على أعتاب مرحلة مفصلية، محاولاً استيعاب دروس ورسائل صندوق الانتخابات الأخيرة، وبالتالي دراسة وتخطيط ثم تنفيذ ما يمكن عمله، وفي مقدمة ذلك العودة إلى مبادئ سنوات التأسيس الأولى، وهي مهمة صعبة بعد كل هذه السنوات، لكن لا يبدو أن هناك فرصة كبيرة للنجاة بدونها، ويزيد من أهمية هذه الخطوة أن الحزب لديه اليوم منافسون عديدون على التيار الإسلامي والمحافظ، مثل أحزاب السعادة والرفاه مجدداً والمستقبل والديمقراطية والتقدم والدعوة الحرة، وهي وإن كانت ما زالت ضعيفة الحضور إلا أنها تمثل بديلاً بالنسبة للكثيرين؛ وبالتالي قادرة على السحب من رصيده والتأثير في نتائج الانتخابات كما فعل الرفاه مجدداً بقيادة فاتح أربكان في الانتخابات المحلية الأخيرة.

الرابع: سؤال ما بعد أردوغان: أسس أردوغان العدالة والتنمية مع مجموعة واسعة من القيادات المعروفة في تيار «الميللي غوروش» (الرأي الوطني) الذي أسسه الراحل نجم الدين أربكان، لكنه تحول مع الوقت للرئيس الفعلي والقائد الأوحد له، وقد استطاع أردوغان بإنجازاته وكاريزمته وطريقة إدارته للحزب والحكومات المتعاقبة أن يحوز على ثقة وطاعة القيادات وجزء مهم من الشارع لم ير له بديلاً، بل لم يبحث عن غيره؛ ولذلك، لم تُبحث مسألة خلافة أردوغان في الحزب حتى اللحظة بشكل جدّي.

بيد أن الأمر ينبغي أن يطرح في المرحلة المقبلة في الهيئات القيادية للحزب، فهذه هي المدة الدستورية الأخيرة لأردوغان رئيساً، وحتى لو كان هناك مخرج أو احتمال دستوري لترشحه مجدداً (اتخاذ البرلمان قرار تبكير الانتخابات)، فإن نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة تقول: إن ترشحه مرة أخرى قد يكون مغامرة غير محسوبة العواقب، ولذلك يحتاج الحزب منذ الآن أن يفكر ويعمل بشكل هادئ على البدائل المحتملة للرجل.

ورغم أن الملف غير داهم، فإنه قد يكون التحدي الأكثر صعوبة أمام الحزب، فمن جهة يصعب عادة في التيارات والأحزاب السياسية تعويض القيادة المؤسِّسة، فما بالنا بشخص مثل أردوغان بمحوريته ومركزيته وتفرده في العدالة والتنمية، لا سيما بعد خروج عدد من القيادات البارزة والتاريخية منه؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى يصعب أن تلتف التيارات المتواجدة في الحزب على قائد جديد تدين له بالولاء والطاعة كما فعلت مع أردوغان، مما ينذر باحتمالات الخلاف والشقاق الداخلي، كما يحصل عادة لدى تبدل القيادة المؤسسة للأحزاب السياسية.

ما زال حزب العدالة والتنمية رقماً صعباً جداً في المشهد السياسي الداخلي في تركيا، وما زال يصعب الحديث عن أفوله تماماً من الحياة السياسية طالما بقي أردوغان رئيساً له وللبلاد، إلا أن حصاد السنوات القليلة الأخيرة وخصوصاً نتائج الانتخابات الأخيرة وما رافقها كل ذلك يقول: إن الحزب إن أراد الاستمرار في مسيرته عليه أن يواجه التحديات المذكورة وغيرها، وإلا أصبح مستقبله في مهب الريح، وتحولت الانتخابات المقبلة في عام ٢٠٢٨م بالنسبة له لاستحقاق «أكون أو لا أكون».■

اليمين المتطرف.. وأبعاد اضطرابات بريطانيا العنصرية

لندن- د. أحمد عيسى:

تندلع في مدن بريطانية عديدة اضطرابات عنصرية إجرامية عنيفة وتخريب وشغب هي الأسوأ منذ ١٣ عاماً، فما أبعادها؟ ومن المتورطون؟ وما الأسباب الآنية والعميقة وراء ذلك؟

شن اليمين المتطرف حملة تحريضية غير مسبوقة على المسلمين عبر منصات التواصل، بعد استغلال حادثة الطعن ضد البنات البريئات في «ساوث بورت»، بمعلومات مضللة كاذبة تربط الهجوم بالمسلمين؛ بهدف تصعيد الكراهية والعنصرية ضدهم، وزعمت منشوراتهم على وسائل التواصل الاجتماعي أن المشتبه به هو مسلم، وأنه مهاجر وصل إلى بريطانيا بطريقة غير قانونية على متن قارب العام الماضي، ولكن المشتبه به وُلد في كارديف لأبوين روانديين مسيحيين، وللأسف تباطأت الشرطة في الطلب القضائي بنشر اسمه بحجة صغر سنه مما أتاح انتشار الشائعات.

ورغم العلم بأنه غير مسلم، انتشرت الاضطرابات الموجهة في الأصل ضد المسلمين والمساجد، وكذلك الملونين والمهاجرين، وتم الاعتداء على الفنادق التي يقطن فيها طالبو اللجوء، وسيارات الشرطة والأجرة، والبيوت والجامعات والمتاجر والمكتبات التي اقتحمت ونهبت وحرقت، وضد الشرطة الذين جُرح كثير منهم.

اليد المحركة واليد الملطخة:

تدل طبيعة التخريب والإرهاب للاضطرابات على تحريكها من قبل اليمين المتطرف الذي استخدم الإنترنت لتلويث العقول ولبث الأباطيل المضللة، من أمثال الإرهابي تومي روبنسون، رئيس «رابطة الدفاع الإنجليزية» المتطرفة السابق، الذي نشرت صحيفة «الديلي ميل» صورته على الغلاف وهو يقضي عطلته في قبرص، وجاء في العنوان الرئيس: «يثير أعمال شغب عنصرية من سريره الشمسي»، فيقوم بتأجيج العنف في جميع أنحاء المملكة المتحدة من خلال المنشورات التحريضية على الإنترنت، وتقول الصحيفة: إنه نشر الأكاذيب أكثر من مائة مرة على موقع «إكس» خلال عطلة نهاية الأسبوع، وحظي بمتابعة الملايين.

أما اليد الملطخة، فهي حثالة المجتمع من عصابات المجرمين من العنصريين البيض البلطجية والمعروفين بالقيام بشغب ملاعب الكرة، ومنهم مجرمون مدانون بأحكام

قضائية، وينتمي معظمهم إلى «رابطة الدفاع الإنجليزية»، وتخطط هذه العناصر الغوغائية لفعل هذه الفوضى الإجرامية في ٣٠ مدينة، ويجب على الحكومة حظر هذه الجماعات والأشخاص الذين يعيثون في الأرض فسادًا.

ولا شك من وجود آخرين يشجعون ما يحدث حضورياً أو غيابياً من السياسيين والإعلاميين العنصريين الكارهين للإسلام والمهاجرين، ولقد كشفت الانتخابات البرلمانية الأخيرة عن رقم مخيف، فقد صوت للحزب العنصري ضد الهجرة «REFORM UK» حوالي ٤ ملايين ممن اشتركوا في التصويت فقط.

وهناك الغاضبون ممن طحنهم الفقر وارتفاع تكاليف المعيشة، ومشكلات الخدمات الصحية والتعليمية والإسكانية، وظنهم أن مهاجري القوارب وطالبي اللجوء هم سبب ذلك، نتيجة ما يسمعونه ليل نهار من أبواق العنصرية، وللعلم فالمهاجرون «غير الشرعيين» وطالبو اللجوء لا يشكلون إلا نسبة صغيرة جداً من العدد الكلي، أما الهجرة «الشرعية» فزادت للغاية منذ أن فتحت بريطانيا أحضانها للمهاجرين من أوكرانيا وهونج كونج، ثم للهنود والنيجيريين كمال ماهرين.

ما التطرف اليميني؟

من ٢٦ تعريفاً للتطرف اليميني يمكن اشتقاقه من الأدبيات، تم ذكر سمات رئيسة، وهي: القومية، والعنصرية، وكراهية الأجانب، ومناهضة الديمقراطية، تبني الدولة القوية[١]، وسجل كتاب «أيديولوجية اليمين المتطرف» في نهايته قائمة بأسماء ٥٣ حزباً من الأحزاب الشديدة التطرف في ١٥ دولة من أوروبا الغربية، تشمل القائمة الأحزاب السياسية التي تعتبر بشكل عام أعضاء من عائلة أحزاب اليمين المتطرفة التي اشتركت في انتخابات على مستوى الدولة مرة واحدة على الأقل[٢].

هذا التطرف اليميني ظاهرة موجودة في جميع أنحاء أوروبا، ولكنها تصاعدت مؤخراً، بحيث أصبحت جميع المجتمعات الديمقراطية مهددة بالعنصرية وبالأفكار الاستبدادية وبالمعاداة للتعددية، وعلى الرغم من أنه يختلف

التطرف اليميني موجود بأنحاء أوروبا وأصبحت المجتمعات الديمقراطية مهددة بالعنصرية ومعاداة التعددية

الجماعات المهيمنة في أقصى اليمين البريطاني قامت بالتركيز على الإسلام والمسلمين في الأعوام الأخيرة

في طابعه وأيديولوجيته من بلد إلى بلد، فإنه يسعى إلى تقييد الحقوق المدنية وحقوق الإنسان، وكذلك لتغيير الهياكل الدستورية التي تستند إلى مبادئ الديمقراطية والحرية.

وتواجه البلدان الأوروبية هذا التحدي بطرق مختلفة، وصار الإسلام والمسلمون والهجرة والمساجد والحجاب والشريعة أدوات ورموزاً يلوح بها اليمين المتطرف، ليكتسب أنصاراً وليشعلها كراهية ونارا، ففي هذا التطرف من يحب الفوضى ويعشق الفساد، وهو تحد خطير أمام المسلمين في أوروبا.

نزعة القومية البيضاء:

وحذّر خبراء من أن اليمينَ المتطرف في بريطانيا أصبح ينتهج بشكل علني سياسة عنصرية أشدّ صرامة في أعقاب ردود الفعل على الاحتجاجات الدولية الداعمة لحركة «حياة السود مهمّة».

وجاء في تقرير صادر عن مجموعة «أمل لا كراهية» أن أعواماً من هيمنة تومي روبنسون، وهو ناشط عنصري بريطاني مناهض للإسلام، وشخصيات أخرى، فتحت المجال أمام تنامي نزعة القومية البيضاء، ووجد التقرير أن نمو جماعة «البديل الوطني» الجديدة التي تدعو صراحة إلى طرد السكان غير البيض من المملكة المتحدة، يشير إلى منعطف نحو سياسات عنصرية أكثر علانية، وهي تحرض الناس على توزيع ملصقات عنصرية ترفع شعارات، منها: «الحضارة الغربية هي حضارة بيضاء»، و«أوقفوا الهجرة».

وأوضح التقرير أن الجماعات المهيمنة في أقصى اليمين البريطاني قامت بالتركيز على الإسلام في الأعوام الأخيرة، وتركت ممارسة العنصرية العلنية لحركات «الفاشيّين المتطرفين»، مثل جماعة «العمل الوطني» (تابعة للنازيّين الجدد) التي تنشط على شبكات الإنترنت، وأدرجتها بريطانيا ضمن المنظّمات الإرهابية المحظورة، وقد جاء في أحد منشوراتها أن «الشعب البريطاني هو من أصل أبيض، وأن أفراده ليسوا من ذوي البشرة البنية أو السوداء ولا من أصول آسيوية أو يهودية»[٣].

أبرز الحركات اليمينية المتطرفة في بريطانيا:

حذر المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات[٤] أن بريطانيا تواجه تهديداً جديداً وكبيراً من الإرهاب اليميني المتطرف المنظم، حيث يعد أكثر أهمية وتحدياً من التهديد «الجهادي»، وعدّد أبرز هذه الأحزاب:

- «حزب الاستقلال البريطاني» تأسس عام ١٩٩٣م وحدّد لنفسه هدف الانسحاب من الاتحاد الأوروبي، والآن انصرف زعيمه لحزب آخر أشد تطرفاً ضد الهجرة أسس عام ٢٠١٨م وهو حزب التغيير (REFORM UK) الذي حصل على ٥ مقاعد في انتخابات البرلمان الأخيرة.

- حركة «بريطانيا أولاً»: دشنت عام ٢٠١١م من أعضاء سابقين لحزب «التحالف الوطني»، وتهدف مفاهيمها إلى إنهاء «الأسلمة» في المجتمع البريطاني، ومناهضة الهجرة للبلاد بغض النظر عن لون البشرة أو العرق، ووصل عدد متابعي صفحتها ١,٤ مليون متابع، وتبنت الحركة هجوماً على بعض المساجد، تحت اسم «الدوريات المسيحية».

- مجموعات «العمل الوطني» من النازيين الجدد، و«هوية الجيل الأول»، و«رابطة

الدفاع الإنجليزية» المتطرفة المعادية للإسلام والمسلمين خاصة، وجيل جديد من المتطرفين الشبان، وثلاثة من البريطانيين من «دعاة الكراهية» في العالم يحظون بأكبر نسبة متابعة من أكثر من مليون شخص لكل منهم في شبكات التواصل.

وكشف أحد صحافيي «الجارديان»، في تسجيل سري لرابطة الدفاع الإنجليزية، عن انضمام عناصر من الجيش البريطاني لدعم تلك المنظمة العنصرية، وأن قسم القوات المسلحة على الإنترنت لديه ٨٤٢ عضواً، وتقول المنظمة: إن العديد من الجنود العاملين يحضرون المظاهرات ضد الإسلام، تقول «الجارديان»: «على مدى أشهر حضرت الجريدة المظاهرات وكانت شاهداً على ما تقوم به هذه الفئة من عنصرية وعنف وخبث وتخويف من الإسلام»[٥].

ويعتبر الحزب القومي البريطاني (BNP) أشد الأحزاب البريطانية عنصرية ومعاداة للبريطانيين لمن هم من عرقيات غير بيضاء أو من الديانات غير المسيحية، وبات شعار «معاداة الإسلام» السلاح الذي يستقوي به الحزب لجذب أكبر عدد من المنتسبين إليه، وانحصرت جهود الحزب في الآونة الأخيرة في تشويه صورة الإسلام لدى الرأي العام البريطاني، وتم نشر قائمة تضم أسماء أكثر من ١٠ آلاف من أعضاء الحزب العنصري على شبكة الإنترنت، ومنهم من يعمل في سلك الشرطة والتعليم والجيش.

وقد استطاع مراسل «هيئة الإذاعة البريطانية» أن يندسّ ويسجل سراً ما يقال في اجتماعاتهم، ورصد قول زعيم الحزب، أخزاه الله: «إن الإسلام ديانة شريرة وعنيفة انتشرت على أيدي حفنة من المجانين الحمقى، وتمتد الآن من بلد إلى بلد»، وقال عضو آخر: «إنه يريد أن يفجر مسجد برادفورد بالصواريخ»، وقد وزع الحزب نسخاً من رسومات الكرتون المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم[٦].

اللعبة الديمقراطية:

ولأن قسماً من اليمين المتطرف استسلم للأمر الواقع مؤخراً وقبل باللعبة الديمقراطية

خبراء يحذرون من أن اليمين المتطرف في بريطانيا أصبح ينتهج بشكل علني سياسة عنصرية أشدّ صرامة

الحزب القومي البريطاني أشد الأحزاب البريطانية عنصرية ومعاداة للبريطانيين لمن هم من عرقيات غير بيضاء

ووجد فيها ضالته، ففي الانتخابات البرلمانية الداخلية والأوروبية ارتفعت أسهم الأحزاب العنصرية ضد المهاجرين في كل من بريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا، وألمانيا، وإيطاليا، وهولندا، والمجر ورومانيا.

ومن النتائج الخطيرة لدعوى أن اللاجئين يشكلون خطراً أمنياً على أوروبا، هو التأثير الاستقطابي الذي تحدثه، واستغلال وسائل الإعلام لها، وقد كان رهاب الأجانب موجوداً أيضاً في حملة استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وأدى تدفق أكثر من مليون لاجئ في عام ٢٠١٦م وحده إلى زيادة شعبية الأحزاب القومية، مثل حزب الجبهة الوطنية في فرنسا، وحزب البديل من أجل ألمانيا ليمثل أول حزب قومي متطرف يفوز بمقاعد في البرلمان منذ الحرب العالمية الثانية[٧].

طاقة أمل:

خارج أحد أول مساجد البلاد (مسجد عبدالله كويليام في ليفربول) استطاع المصلون التحدث إلى الحاضرين بعد أن هدأت الاضطرابات خارج المسجد، وكانت الصور الناتجة التي تُظهر مشاركة الطعام والعناق والمصافحة، من بين المنشورات الأكثر إيجابية التي تمت مشاركتها على نطاق واسع على وسائل التواصل الاجتماعي، وتذّكر الإمام كيف كاد أحد الرجال أن ينهار في البكاء بعد أن تمت دعوته لتناول وجبة في مطعم بعد حدث ما، وقال: «إن أحداً لم يعامله بهذه الطريقة من قبل»[٨].

من جانب المسلمين لعل ذلك يشي بأنه يجب محاولة التفهيم والتفاهم والاقتراب والتقارب طمعاً في الاندماج الذي يبدو صعب التحقيق لأنه كالحب لا يتحقق من طرف واحد!■

الهوامش

(١) Cas Mudde, "Right-wing extremism analyzed. A comparative analysis of the ideologies of three alleged right-wing extremist parties". European Journal of Political Research، 27:2, (1995): 203-24.

(٢) Cas Mudde, "The Ideology of the Extreme Right". (Manchester University Press، 2002), 185-186.

(٣) ليزي ديردن، «اليمين المتطرف البريطاني صار أكثر عنصرية»، الإندبندنت العربية، ٢١ أغسطس ٢٠٢٠م.

(٤) المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، «مكافحة الإرهاب في بريطانيا- تنامي أخطار اليمين المتطرف»، ١٩ أغسطس ٢٠١٩م.

(٥) Matthew Taylor, "English Defence League: Inside the violent world of Britain's new 28 far right". The Guardian 2010 May

(٦) BNP activists admit to race crime, BBC, 15 July 2004.

(٧) Cameron Sumpter, and Joseph Franco, "Migration, Transnational Crime and Terrorism: Exploring the Nexus in Europe and Southeast Asia". Perspectives on Terrorism, 12, 5 (2018), 41.

(٨) Mosque leaders find moments of hope after violent disorder, BBC, 5 August 2024

صيغ الوحدة السياسية في أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر (7)

خلاصة البحث.. إقامة الخلافة فريضة على المسلمين

د. إبراهيم نويري
كاتب وباحث أكاديمي - الجزائر

ها قد وصلنا إلى نهاية البحث، وقبل أن نستعرض الخلاصات والنتائج، نعرض المحاولة العلمية المهمة في ذلك العمل البحثي الكبير الذي أنجزه رجل القانون المستشار د. عبدالرزاق السنهوري، وأصل هذا العمل أطروحة علمية بعنوان «فقه الخلافة وتطوّرها لتصبح عصبة أمم شرقية»، تقدم بها عام ١٩٢٦م لجامعة السوربون الفرنسية، لنيل درجة الدكتوراة في العلوم السياسية.

فقه الخلافة:

انتبه المستشار د. عبدالرزاق السنهوري إلى أن سقوط الخلافة الإسلامية لا يمكن أن يعني في الذهنية الإسلامية انتهاء وتجاهل فقه الخلافة، بحجة تعدد الدول في المجال العربي والإسلامي، وقيامها على أسس قومية ووطنية، وإنما ينبغي تطويره وإثراؤه؛ لأن العالم الإسلامي إذا عجز عن إقامة دولة كبرى موحدة تمثله على الصعيد الدولي؛ فإن المادة الفقهية والدستورية لنظام الخلافة من شأنها أن تساعد المنظمات الأهلية، التي تتطلع للقيام بدور حيوي، ربما يُعدّ في أصله من صميم عمل مؤسسة الخلافة الإسلامية.

فعدم وجود دولة موحَّدة تمثل الأمة الإسلامية لا يبرر بحال من الأحوال إهمال هذا الجانب النوعي المهم من منظومة الفقه الدستوري الإسلامي، وإنما ينبغي للعقل المسلم أن يستمر في تطويره، كي يستجيب في صيرورته المطردة، لاحتياجات الأمة الإسلامية، وهي تحث الخطى باتجاه تحقيق وحدتها، واستعادة مكانتها الدولية.

ويبدو أن السنهوري كان مهموماً بحال الأمة الإسلامية، وهو ما يزال طالباً دون بلوغ سن العشرين من عمره، وكان يتابع أخبار الهجمة الغربية على الخلافة العثمانية، التي لم تكن سوى مقدمة لتمزيق أوصال العالم الإسلامي، وقد سجل في مذكراته -كما تذكر كريمته د. نادية عبدالرزاق السنهوري رحمة الله عليها- أيام الحرب العالمية الأولى قوله: «كنتُ أحلم صغيراً بالجامعة الإسلامية، وكنتُ أتعشقها، ولم تكن أمامي إلا رمزاً لحقيقة مبهمة، خالية من كلّ تحديد ووضوح»؛ كما سجل هذه الأبيات التي تنمّ عن توجّهه الوحدوي الذي أفصح عنه:

أأرضى أن أنام على فـراشٍ
ونـــوم المسلمين على القتـــاد
وأهنأ في النعيم برغدِ عيشٍ
وقومـــي شُتتـــوا فـــي كـــلّ واد

فلا نعمتْ نفوسٌ في صفاءٍ
إذا نسيتْ نفوساً في الصفاد[1]

ينطلق العمل العلمي الذي قدّمه د. السنهوري من مسلَّمة، مفادها أن الوحدة الأممية الإسلامية نابعة من مبدأ راسخ، يتمثل في كون الوحدة فريضة مؤكدة في عقيدتنا وشريعتنا، لأنها صنو عقيدة التوحيد، أو هي وجهها الثاني؛ وعليه، فإن هذا المبدأ قائم وموجود طالما بقيت عقيدة التوحيد، بل إن وحدة الأمة الإسلامية بهذا الاعتبار هي حقيقة واقعة و مة من المسلَّمات الراسخة في المرجعية الإسلامية، ولكن هناك عوامل داخلية وخارجية قد أوهنتها وأضعفتها، وأخرت مسيرتها.

وبناء على ذلك، فإن مهمة أجيال الصحوة الإسلامية المعاصرة ينبغي أن تنصبّ على تجديد مشروع وحدة الأمة، وجعله أساساً راسخاً لنهضة شاملة، تستهدف تفعيل عناصر القوة في الأمة الإسلامية، وتأمين مستقبلها السياسي والحضاري، باعتبارها مجموعة من الشعوب والقوميات المتضامنة، المستظلة براية الإسلام، المعتزّة بانتمائها وهُويتها الحضارية.

ويرى السنهوري أن إقامة الحكومة الصحيحة لإدارة شؤون المسلمين التي يفرضها الإسلام ليس من شروطها أن تنحصر في نظام الدولة الموحدة الذي وجد في عهد الخلفاء الراشدين المهديين؛ لأن الخلافة ليست نظامَ حكمٍ جامدٍ من حيث شكله، بل هي نظام مرنٌ يمكن أن يتطور شكله ليتلاءم مع الظروف الاجتماعية، فقد قامت الحكومة الصحيحة الراشدة على أساس شوري نيابي لصالح المحكومين؛ لأن الحكم مسؤولية وتكليف أكثر منه سلطة وسيطرة[2].

ثم وضّح بأن النأي عن قاعدة أو أسلوب الحكم الراشد في واقع المسلمين يُعتبر حكماً ناقصاً، وبالتالي فهو وضع استثنائي ينبغي

السنهوري: الوحدة الأممية الإسلامية نابعة من مبدأ راسخ كونها فريضة مؤكدة في عقيدتنا وشريعتنا

النبهاني: تنصيب الخليفة فرض حتمي على المسلمين حسب الشرع والعقل لإقامة الحدود وسدّ الثغور

تغييره، وأن المسلمين يجب أن يتعاونوا على إقامة الصورة الجديدة للخلافة الصحيحة، وأن الأوضاع الفاسدة لا يصحّ أن تعوق تطوّر ونمو الفقه الدستوري والسياسي الإسلامي، وأن هذه الأوضاع الناقصة أو الفاسدة برغم سيطرتها على العالم الإسلامي، لمدة زمنية طويلة، ظلت في نظر الشريعة الإسلامية وفي قوانينها العامة، مجرد حالة استثنائية[3].

وجوب تنصيب خليفة:

ومن أشهر وجوه الخطاب الإسلامي المعاصر -بعد مفكري جماعة الإخوان المسلمين- تنظيراً واهتماماً وتفكيراً في قضية الخلافة الإسلامية والدولة التي تمثل جامعة المسلمين السياسية، الشيخ تقي الدين النبهاني، مؤسس حزب التحرير، وبالرجوع إلى أدبيات هذا الحزب ورسائل ومؤلفات الشيخ النبهاني، يتضح لدى الباحث أن القضية المركزية لهذا الحزب إنما هي قضية الخلافة الإسلامية، والأسباب التي أدت إلى سقوطها، والعوامل التي يجب على المسلمين تفعيلها في واقعهم من أجل استعادتها.

يقول الشيخ النبهاني: «إن تنصيب الخليفة واجب على المسلمين وفرض حتمي حسب الشرع والعقل؛ لأن ما هو واجب من إقامة الحدود وسدّ الثغور لا يتمّ إلا به، ولأن الحكم بما أنزل الله لا يكون ولا يُنفذ إلا بوجوده، ولأن جلب المنافع للأمة ودفع المضار عنها لا يتأتى إلا بوجوده، ولذلك كان حكم نصب الخليفة واجباً بالإجماع، فقد أجمع الصحابة على تأخير دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام، حتى بويع خليفة لرئاسة الدولة»[4].

ويربط الشيخ النبهاني بين دولة الخلافة وسلطاتها، ورسالة الأمة الإسلامية الرئيسة، التي كلفها الله تعالى بتبليغها، كما شرّفها بالانتساب إليها، وهي رسالة الدعوة إلى الإسلام، فيستتلي قائلاً: «المسلمون مكلَّفون حسب الشرع بتبليغ الإسلام، وحمل الدعوة الإسلامية لا يكون إلا عن طريق الدولة، لأنها هي التي تملك القوة التي تحمي هذه الدعوة، وتزيل الحواجز المادية التي تقف في سبيلها، لذلك كان قيام الدولة الإسلامية من ألزم الواجبات على المسلمين جميعاً»[5].

إنّ ما يمكن أن نستنتجه أو نلاحظه أن معظم أصحاب هذا التوجه يركزون على استثمار الواقع الذي يسود العالم الإسلامي، وتفعيل الأفكار الإيجابية في هذا الواقع، ولذلك فإن هذا التوجه يقدم أفكاراً نابعة من واقع الأمة الإسلامية، وهذه الأفكار في عمومها منبثقة عن فهم صحيح وتشخيص سليم للأوضاع العامة السائدة في الأمة وعلاقتها بالارتباطات الخارجية.

ومن أهم تلك الأفكار اقتراح عدد من الصيغ أو الأشكال الوحدوية، وأيضاً تطوير الهيئات والمنظمات القائمة كي تتكفل ببعض واجبات وصلاحيات الخلافة الإسلامية أو وحدة المسلمين السياسية، إلى جانب الاستمرار في تطوير فقه الخلافة؛ لأن هذا الفقه لا يقتصر دوره على وجود دولة الخلافة.

ومن الأفكار المهمة لأصحاب هذا التوجه، أنهم لا يؤمنون بصورة واحدة لنظام الخلافة أو الوحدة السياسية للمسلمين؛ لأن العبرة عندهم تكمن في الأبعاد والمضامين لا

الأئمة الأربعة: الخلافة فرضٌ وعلى المسلمين أن يعيّنوا قائداً ينفّذ أحكام الدين وينصر المظلومين

الدولة الإسلامية ليست فكرة خيالية بل حقيقة تاريخية وعوامل قيامها من جديد قائمة في النفوس

في الأشكال الموروثة من التاريخ الإسلامي.

خلاصات ونتائج:

نصل في نهاية هذا البحث إلى استخلاص النتائج الآتية:

١- يوجد اتفاق بين المنتمين إلى الخطاب الإسلامي والفكر الإسلامي المعاصر عموماً بشأن قضية وحدة الأمة الإسلامية في جميع أبعادها؛ لأنها قضية ثابتة بالأدلة القطعية، فقد نقل الذين كتبوا في السياسة الشرعية هذه الصيغة: «اتفق الأئمة الأربعة على أنّ الخلافة فرضٌ، وعلى المسلمين أن يعيّنوا قائداً ينفّذ أحكام الدين وينصر المظلوم على الظالمين»، فهذا إجماع متواتر عن أصحاب المذاهب الفقهية، كما يقول الإمام الماوردي[٦].

٢- يؤمن أصحاب الخطاب الإسلامي المعاصر بأن الدولة القُطْرية، التي أصبحت أمراً واقعاً في العالم الإسلامي بعد سقوط آخر تجربة للخلافة الإسلامية، يمكن أن تندرج في صيغة وحدوية أشمل، لتكون شكلاً من أشكال الوحدة السياسية الكاملة للمسلمين جميعاً.

٣- كان سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية طعنة نجلاء وجهها الاستعمار الغربي الصليبي لجسد وكيان الأمة الإسلامية؛ تمهيداً لإخضاعها والهيمنة على مقدراتها وثرواتها، وللتحكّم في شؤونها، ومنع نهضتها العلمية والحضارية المؤسسة على ذاتيتها وشخصيتها المتفردة.

٤- ليس المطلوب في المنظور الإسلامي قيام مجموعة دول مشتتة الأهداف والتطلعات والغايات، وإنما المطلوب قيام خلافة جامعة للمسلمين، تمثل الأمة الإسلامية، وتُستأنف بها الحياة الإسلامية الرسالية، المنسجمة مع واجب الشهود الحضاري.

٥- الدولة الإسلامية ليست فكرة خيالية، بل هي حقيقة امتلأت بها حركة التاريخ وتعطرت بها أنفاسه قروناً طويلة، وعوامل قيامها من جديد في صورة خلافة جامعة، قائمة في النفوس، لكنها مشروطة بإزالة الموانع والعقبات التي فرضتها قوى الاستكبار والقهر المعادية للإسلام والأمة الإسلامية.

٦- إنهاء التبعية والإلحاق الحضاري لا يتحقق في أبعاده الصحيحة إلا بإنجاز استعادة الخلافة الإسلامية أو نظام وحدة المسلمين السياسية.

٧- تمثل الخلافة في تفكير المنتمين إلى الخطاب الإسلامي المعاصر بديلاً حضارياً خاصة للمظلومين والمهمشين والأقليات المسلمة المضطهدة.

٨- يقدم الخطاب الإسلامي المعاصر فكرة الخلافة في صورة واقعية تستهدف قيام اتحاد كونفدرالي بين المسلمين، وذلك على غرار تكتلات الأمم الأخرى؛ مثل الاتحاد الأوروبي أو غيره من التكتلات الوحدوية.

٩- يقر المنتمون إلى الخطاب الإسلامي المعاصر بأن الاعتراض على فكرة الخلافة الإسلامية ما يزال يظهر في أشكال وسرديات شتى، منها التشكيك في واقعيتها، ومنها تغليب الفكرة القومية الضيقة عليها انتصاراً للدولة القُطْرية، أو كونها غير واجبة من الناحية الدينية، كما هي محاولة علي عبدالرازق.

١٠- يؤمن المنتمون إلى الخطاب الإسلامي المعاصر بأن فكرة الخلافة الإسلامية جامعة حضارية تمثل ضماناً حقيقياً لنجاح مشروعات التجديد والنهضة والإصلاح في شتى أقطار وأقاليم العالم الإسلامي.■

الهوامش

(١) نادية السنهوري، تقديم كتاب «فقه الخلافة»، ص ٢٦.

(٢) عبدالرزاق السنهوري، فقه الخلافة وتطوّرها لتصبح عصبة أمم شرقية، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٢٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٤) تقي الدين النبهاني، الدولة الإسلامية، منشورات مطابع المنار، دمشق، ط١، ١٩٥٢م، ص ١٥٢.

(٥) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٥.

المدرِّب المتألِّق (8)

مؤهلات نجاح الدورة.. الاستعداد المسبق

د. موسى المزيدي
مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

من مؤهلات النجاح للمدرِّب المتألِّق في أي دورة تدريبية الاستعداد الجيد والمسبق لها، ففي إحدى الدورات طرحت هذا السؤال: هل ذهب أحدكم إلى القطب المتجمد الشمالي أو القطب الجنوبي؟ طبعاً السؤال غريب!

ولكن أجابني أحدهم أنه ذهب إلى منطقة قريبة من القطب المتجمد الجنوبي، فسألته: ماذا رأيت هناك؟

حتماً هناك ظواهر كثيرة، ولكن أهم ظاهرة فيها تُعرف بـ«الجبل الجليدي» (ICEBERG)، إنها ظاهرة عجيبة، ومنظر رائع خلاب!

إن سنحت لأحدكم فرصة لزيارة القطب المتجمد الشمالي أو القطب الجنوبي، فلا يفوّت فرصة النظر إلى «الجبل الجليدي»؛ سيرى أن ما يظهر من هذا الجبل فوق سطح الماء جزء يسير، على حين أن معظمه مخفيّ تحت سطح الماء.

هل منكم من يعلم النسبة الظاهرة من «الجبل الجليدي» فوق سطح الماء نسبة إلى حجمه الكلي؟ فقد قدرها العلماء بـ١٠%؛ وبمعنى آخر، إن ما يظهر فوق سطح الماء هو عُشر الجبل الجليدي كله.

ولكنّ، ما علاقة هذا الموضوع بمرحلة «الاستعداد المسبق للدورة التدريبية»؟

إن المدرب المتألق هو الذي يدرك أن ما يراه المتدربون منه في أثناء الدورة يساوي ١٠% من استعداده المسبق الذي يبذله في منزله ومكتبه الذي يقدر بنحو ٩٠% من وقته! فعندما يتم تكليف المدرب بالإعداد لدورة تدريبية، فإنه يتبع الخطوات التالية:

الأولى: معرفة الهدف العام من الدورة:

من المهم جداً أن يدرك المدرب أن معرفة الهدف العام للدورة هو الطريق نحو ضبط البوصلة إلى الاتجاه الصحيح؛ وأول ما يبدأ به في دورته هو التأكد من وضوح الهدف العام في أذهان المتدربين.

ومن الجيد أن يبدأ المدرب ببعض التمارين الرمزية التي يحبها المتدربون، ومنها «تمرين البوصلة»، الذي يهدف إلى توحيد الهدف العام في ذهن المتدربين بصورة رمزية ومسلية، وهو كالتالي: يطلب المدرب من المتدربين أربعة أمور بعد استعمال البوصلة لمعرفة جهة الشمال، وإعلان ذلك لهم: ارفع أصبعك السبابة إلى السماء، أغمض عينيك، أشر بأصبعك تجاه الجنوب الجغرافي، افتح عينيك وارصد نسبة من معك في نفس الاتجاه.

وهنا يقوم المدرب بالتعليق قائلاً: كلنا نمضي قُدماً نحو تحقيق الهدف العام من

الدورة، فمن يعرف جهة الشمال فهو يعرف جهة الجنوب؛ وعليه لا أريد أن أرى واحداً منكم يشير بأصبعه نحو جهة أخرى غير الجهة التي نشير جميعنا إليها.

نستخلص من ذلك أن المدرب المتألق هو الذي يوضح للمتدربين أهمية معرفة الهدف العام من الدورة التدريبية.

الثانية: معرفة الأهداف التفصيلية للدورة:

كما الهدف العام، فإن على المدرب أن يوضح الأهداف التفصيلية للدورة للمتدربين، ويعرضها لهم؛ حيث إن أهم فائدة من وراء توضيح الأهداف التفصيلية الإحساس الزمني لسيرورة الدورة، وأهمية كل هدف تفصيلي فيها، ومقداره الزمني لتحقيقه، وليس شرطاً أن يغطي المدرب كل أهداف الدورة التفصيلية.

مثال على ذلك: في إحدى الدورات التدريبية لجامعة الكويت بعنوان «فن اتخاذ القرارات وحل المشكلات»، بقي في نهايتها هدف تفصيلي واحد لم أستطع تغطيته، وكان «حول النماذج المتنوعة في حل المشكلات»، حيث كانت لديَّ قناعة أن المتدربين قد نالوا من المعرفة في أثناء الدورة ما يغنيهم عن معرفة هذه النماذج.

وقد توصلت، من خلال خبرة تجاوزت ٣٧ عاماً في عالم التدريب، إلى قناعة أن المتدرب لا يعترض على هدف تفصيلي لم يتم عرضه في الدورة، وأن رضا المتدربين عن الدورة يقاس بحيويتها، ونشاط المدرب فيها، وإدخال عنصر المرح والتسلية، وكذلك التنافس والتحدي، ومعرفة المتدربين بكيفية تطوير أنفسهم.

لذلك، على المدرب المتألق أن يحرص على حيويته ونشاطه طوال مدة الدورة، وإدخال المرح والتسلية والتنافس والتحدي فيها، وكذلك تطوير المهارات والقدرات لدى المتدربين.

الثالثة: مواكبة آخر التطورات في موضوع الدورة:

المدرب المتألق هو الذي يحيط نفسه علماً ومعرفة بآخر التطورات في موضوع

على المدرب المتألق أن يستعد جيداً قبل عرض دورته ويلم بآخر تطورات موضوعها

.. ويوضح للمتدربين الهدف العام والأهداف التفصيلية للدورة التدريبية في بداية العرض

.. ويحرص على حيويته ونشاطه وإدخال المرح والتسلية والتنافس والتحدي بالدورة

الدورة التدريبية، ويكون ذلك بالطرق التالية

- الدخول إلى مواقع المكتبات الإلكترونية، وشراء كتاب أو كتابين حديثين في موضوع الدورة، وقراءتهما؛ لإحاطة نفسه بآخر التطورات في موضوع الدورة.
- استعمال متصفح عالمي مشهور؛ لمعرفة آخر المقالات التي تطرقت لموضوع الدورة، وقراءتها.
- الانخراط في دورة إلكترونية عن بُعد، مدتها سويعات، ومدفوعة الأجر، حول موضوع الدورة، وتوجيه أسئلة للمدرب فيها حول آخر التطورات في موضوع الدورة.
- الجلوس مع صاحب الاختصاص لمدة نصف ساعة؛ لمعرفة آخر تطورات موضوع الدورة.
- استعانة المدرب بخبرته الشخصية حول آخر المواقف التي تعرض لها في موضوع الدورة، وسردها للمتدربين.

ولنضرب مثالاً: في إحدى الدورات التدريبية للمركز العلمي التابع لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي، كانت الدورة بعنوان «بناء الفريق الناجح»، استعنت بمنتَج أمريكي يعرف بـ«المدير المحصن ضد الرصاص»، في عرض آخر ما توصل إليه علم الإدارة في مجال بناء الفريق الناجح، وعرضت لقطة للمدربة العالمية «باتريشا فريب» في مجال بناء الفرق الناجحة.

الرابعة: إعداد وتصميم شرائح الدورة:

هناك فن وأصول في إعداد وتصميم شرائح الدورة التدريبية، أهمها:

- أول شريحة في العرض تحتوي على عنوان الدورة، ويفضل أن يكتب العنوان بحجم خط (٦٦-٧٢).
- تحت العنوان في أول شريحة، يتم كتابة اسم المدرب، واسم المؤسسة، وتاريخ الدورة، بحجم خط أصغر نحو (٤٠).
- ثم ينبغي أن يكون هناك عنوان واحد لكل شريحة، ويفضل أن يكتب بحجم خط (٤٠-٦٠).
- يُنصح باستعمال صورة واحدة فقط لكل شريحة، وتكون معبرة عن موضوع الشريحة.
- يُنصح، كذلك، ألا يزيد عدد الكلمات في كل شريحة على ٣٦ كلمة، ويفضل أن تكتب بحجم خط (٢٨-٣٦).
- لا يزيد عدد الأسطر في كل شريحة على ٦ أسطر.
- لا يزيد عدد الكلمات في كل سطر على ٦ كلمات.
- لا يزيد نوع الخطوط المكتوبة على نوعين (النسخ والرقعة مثلاً).
- لا يزيد حجم الخطوط في كل شريحة على حجمين.
- ينبغي أن يكون التنسيق بين الصور والمحتوى واضحاً ومرتباً.
- يفضل أن تكون الصور أصلية، ومن مصدرها الأصلي، ويفضل تجنّبِ أخذها من الإنترنت؛ ما لم تكن متاحة لعموم الناس من دون قيود.
- ينبغي عرض الشرائح على مساحة تغطي معظم الشاشة، وتكون على بُعد ٣ - ٦ أمتار من المتدربين، وتعرض الشرائح على الشاشة بواسطة مسلاط (بروجكتور) قوي الإضاءة، ويكون حجم الشاشة بحدود «٢-٢ متر».■

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (12)

البدء بنقاط الاتفاق مع المدعوين

يحتاج التأثير الدعوي إلى بصيرة تسهم في إدراك الواقع وفهم الواجب تجاهه، من أجل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، وإن الدعوة الإسلامية تتطلع إلى تكوين هذه البصيرة في الدعاة، حتى يدركوا ما تنطوي عليه نفوس الناس، وما يجب لهم من مهارات وأدوات تستطيع أن تقودهم إلى الصراط المستقيم.

وتأتي هذه السلسلة من المقالات الدعوية تحت عنوان «الأسس النفسية للتأثير الدعوي» من أجل الوقوف على الركائز النفسية التي يستند إليها الداعية ليحقق النجاح في مهمته السامية، ويأتي الأساس الثاني عشر بعنوان «البدء بنقاط الاتفاق مع المدعوين».

د. رمضان أبوعلي
أستاذ جامعي- دكتوراة في الدعوة الإسلامية

التأصيل الشرعي

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أنه أشار إلى أن البدء بالعوامل المشتركة ونقاط الاتفاق يعد ركيزة أساسية في الالتقاء بين الناس والتأثير عليهم، ففي قصة سيدنا يوسف عليه السلام، بدأ الحديث بين إخوته بموضع الاتفاق بينهم، وهو يتمثل في محبته وأخيه إلى أبيه أكثر منهم، حيث قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٨ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف)، ففي الآيات تأكيد على التقائهم من أجل هدف واحد؛ هو إبعاد سيدنا يوسف عن أبيه، حتى يستريحوا منه، ثم اختلفوا بعد ذلك في طريقة الإبعاد؛ هل يقتلونه أم يرمونه في البئر؟! لكن الاتفاق الذي جمعهم لم

البداية بنقاط الاتفاق تمهد الطريق أمام التفاعل مع الموضوع المطروح

التشابه بين الجمهور والمتكلم يساعد على الاقتناع بمحتوى الرسالة

يجعل اختلافهم في الوسيلة يمتد طويلاً، بل اتفقوا سريعاً على إلقائه في البئر، وسعوا جميعاً في ذلك.

فالبداية بنقاط الاتفاق من شأنها أن تمهد الطريق أمام الاجتماع والتفاعل مع الموضوع المطروح، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، صعد على جبل الصفا، ونادى على الناس حتى اجتمعوا له، فقال: «أَرَأَيْتَكُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عليْكُم؛ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»، قالوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صِدْقاً، قالَ: «فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»[1]؛ ففي هذا تأصيل للبدء بنقاط الاتفاق مع الآخرين، حيث حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على الاستناد إلى التاريخ الممتد بينه وبينهم، واستدعاء قيمة الصدق الثابتة له، كي يبني عليها حواره، وينطلق منها نحو مقصده الدعوي.

التوظيف النفسي

أكدت الدراسات النفسية أن التشابه بين الجمهور والمتكلم يساعد على توحد الجمهور به، ومن ثم الاقتناع بمحتوى الرسالة[2]، وفي هذا تأكيد على ضرورة سعي المتكلم إلى إيجاد هذا التشابه بينه وبين مستمعيه، ويمكن إيجاده من خلال البدء بنقاط الاتفاق؛ لأن هذا الاتفاق يسهم في إيجاد قاعدة مشتركة بين المتحدث والمستمع؛ حيث «إن من شأن البدء بنقاط الاتفاق مع المحاوَر الآخر: امتلاك قلبه، وتقليص الفجوة، وكسب الثقة بين الطرفين، وبناء جسر من التفاهم يجعل الحوار إيجابياً متصلاً، أما البدء بنقاط الخلاف فينسف الحوار نسفاً مبكراً»[3]؛ ولهذا يحرص المتحدث البارع على إهمال مواضع الخلاف واستبعادها في بداية الكلام، وحمل المستمع على موافقة المتحدث في كل ما يقال.

يقول ديل كارنيجي[4]: المتحدث اللَّبق هو الذي يحصل في مبدأ الأمر على أكبر عدد من الإجابات بـ«نعم»، فهو عندئذ قد وجه ذهن محاوره وجهة إيجابية يصعب عليه التخلي عنها، أما كلمة «لا» فهي تجعل كيانه جميعاً يتحفز لمناصرته في اتجاهه نحو الرفض، وقد يشعر فيما بعد أن كلمة «لا» لم تكن في موضعها، لكن كبرياءه يمنعه من النكوص على عقبيه أو الرجوع عن قوله، ومن ثم كان الأرجح أن تبدأ الحديث مولياً اهتمامك للناحية الإيجابية، ومتجاهلاً الناحية السلبية تماماً، حتى تفوز بكلمة «نعم»، وتحصل على التأييد الكامل.

التوظيف الدعوي

يحرص الداعية على توظيف نقاط الاتفاق مع المدعوين في حسن تهيئتهم لقبول دعوته، وذلك من خلال الوسائل الآتية:

أولاً: التعرف على المدعوين والإحاطة بأحوالهم؛ حيث يسهم التعارف في الوقوف على النقاط المشتركة وأوجه التلاقي بينهم، ويدل على هذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حين خرج في موسم الحج يعرض نفسه على القبائل، فوجد قوماً، فقال لهم: «من أنتم؟»، قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالي يهود؟»، قالوا: نعم، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، فأجابوه[5]، ففي هذا الموقف ما يؤكد أن حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على معرفتهم وحديثه عن خلفياتهم الاجتماعية ما جعلهم يتحدثون إلى بعضهم أن هذا هو النبي الذي تتوعدكم به يهود، فلا يسبقونكم إليه؛ مما أدى إلى سرعة استجابتهم له.

ثانياً: لفت الانتباه واستدعاء التركيز بذكر مواضع الاتفاق، حيث يبدأ الداعية حديثه بنقاط اتفاق بدهية ومُسَلَّمات لا

يختلف عليها أحد، من أجل لفت الانتباه لما يأتي بعد ذلك، ويدل على هذا ما ثبت عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ يَوْمَ النَّحْرِ، فقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا..»[٦]، فقد بدأ الرسول صلى اللّه عليه وسلم خطابه بالسؤال عن أشياء لا يختلف عليها أحد، من أجل جمع القلوب والعقول حوله، والتركيز على ما يأتي بعدها من توجيهات مهمة.

ثالثاً: التأكيد على حب الخير لهم؛ فإن الداعية الذي يبدأ بالتأكيد على حب جمهوره ورجاء الخير لهم؛ يستميل قلوبهم ويستنطق ألسنتهم بما يريد، ويدل على هذا ما فعله الرسول صلى اللّه عليه وسلم حين دخل على عمه أبي طالب وهو مريض، وعنده جماعة من قريش، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك يشتم آلهتَنا، فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إن قومك يَشْكُونك، يزعمون أنك تشتم آلهتَهم وتقول وتفعل، فقال: «يا عَمِّ، إنما أُريدُهم على كلمةٍ واحدةٍ تدين لهم بها العرب، وتُؤدِّي إليهم بها العجمُ الجزية»، قالوا: وما هي؟ نَعَمْ، وأبيكَ، عَشْراً، قال: «لا إله إلا اللّه»[٧]، فقد بدأ النبي صلى اللّه عليه وسلم حديثه معهم مؤكداً حرصه عليهم ورغبته في رفع مكانتهم، مما جعلهم ينهضون في لهفة إلى ما يقول.

التعارف يسهم في الوقوف على النقاط المشتركة وأوجه التلاقي بين الداعي والمدعو

الدليل على التأثير الناجح

تعددت المواقف الدعوية التي تدل على التأثير الناجح للبدء بنقاط الاتفاق مع المدعوين، ويظهر هذا التأثير في تحقيق القبول والاستجابة للدعوة.

ومن ذلك ما ثبت أن قريشاً ذهبت إلى الحصين وكانت تعظّمه، فقالوا له: كلّم لنا محمداً، فإنه يذكر آلهتنا ويسبّهم، فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبيّ صلى اللّه عليه وسلم، فقال: «أوسعوا للشّيخ»، فقال حصين: ما هذا الّذي بلغنا عنك؟ إنك تشتم آلهتنا، فقال: «يا حصين، كم تعبد من إله؟»، قال: ستاً في الأرض وواحداً في السماء، قال: «فإذا أصابك الضّر من تدعو؟»، قال: الذي في السماء، قال: «فإذا هلك المال من تدعو؟»، قال: الذي في السماء، قال: «فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟ أما إنك لو أسلمتَ عَلَّمْتُك كلمتين تَنْفَعَانك»، قال: فلما أسلم حُصين، جاء فقال: يا رسولَ اللّه، علِّمْني الكلمتين اللتيْن وعَدتني، قال: «قل: اللَّهمَّ أَلْهِمني رُشدي، وأعِذْني من شرِّ نفسي»[٨].

فقد استطاع النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يملك قلب الرجل، حين أمر أصحابه بالتوسعة له؛ تقديراً واحتراماً، ثم بسؤاله عن النقاط التي يعلم النبي صلى اللّه عليه وسلم أن إجابة الرجل فيها تتوافق معه، ثم يحدثه الرسول صلى اللّه عليه وسلم عن كلمات تنفعه إذا أسلم، مما جعل الرجل يسارع إلى الإسلام ويطلب التوجيه والإرشاد من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

ومن الأمثلة التي تدل على أن البدء بنقاط الاتفاق مع المدعوين يسهم في تحقيق القبول والاستجابة ما ورد في حديث الشاب الذي جاء إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم يطلب الإذن في الزنى، فَقَالَ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ أَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ أَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟»، وفي كل سؤال يجيب الفتى: لاَ وَاللّه، ويرد عليه الرسول صلى اللّه عليه وسلم: «ولا الناس يحبونه»، قال: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[٩]؛ ففي الحديث تركيز على إقناع الفتى بعدم الزنى من خلال الوقوف على نقاط الاتفاق التي لفتت نظره إلى كراهية هذا السلوك ووجوب التخلي عنه.

والخلاصة أن البدء مع المدعوين بالمواضع التي يتفقون فيها ركيزة دعوية تسهم في استمالة قلوبهم وإقناع عقولهم وتوجيه سلوكهم نحو الصراط المستقيم.■

الهوامش

(١) صحيح البخاري، (٤٤٩٢).
(٢) الإنسان وعلم النفس: د. عبدالستار إبراهيم، ص ٢٢٧.
(٣) مهارات الاتصال الإداري والحوار، عبدالله حسن مسلم، ص ٥٢.
(٤) كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس؟ ترجمة: عبدالمنعم الزيادي، ص ١٥٤.
(٥) سيرة ابن هشام، (١/ ٤٤٣)، وأخرجه أحمد في مسنده (١٥٧٩٨).
(٦) صحيح البخاري، (١٦٥٤).
(٧) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح، (٣٤١٩).
(٨) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (٢/ ٧٧)، وأخرجه الترمذي، (٣٤٨٣).
(٩) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح، (٢٢٢١١).

العلاقة الزوجية.. واجبات وحقوق

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

أستاذي الكريم د، يحيى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية وتقدير لمجلة «المجتمع»، وتقبل جهود العاملين عليها ومساهماتهم الطيبة، لقد ترددت كثيراً خجلاً أن أكتب إليكم، وكثيراً ما كنت أهمّ بالكتابة فأستحي من الحديث عن معاناتي، ولكن ما جرأني لطرح هذه المشكلة هو للأسف تكرارها لصديقات لي وإن اختلفت أسبابها وآثارها، أتمنى أن تجد عندكم من الأهمية لمناقشتها وطرح سبل التعامل معها.

أنا سيدة في بداية الأربعينيات من عمري، وزوجي في منتصف الأربعينيات، مر على زواجنا عقدان من الزمان ونحن في سعادة وهناء، كان زوجي يبذل جهوداً مضاعفة لتنمية وتطوير شركته، لم يقصر زوجي في مسؤولياته تجاه أسرته، وامتدت ساعات عمله حتى وقت متأخر من الليل؛ اضطرب نظام حياته، فلم يعد يأكل بانتظام ولا يذهب للنادي، لاحظت قصوراً في أدائه، وخجلت أن أبدي ذلك.

كثيراً ما كنت أستعد شوقاً للقائه، ولكنه كان ينام أثناء تناوله للعشاء، وإن حاول

الدافع الرئيس للزواج العلاقة الخاصة وبها يتم إحصان النفس فهي من أهم العلاقات بين الزوجين

خجلاً فكثيراً لا يستكمل اللقاء حيث كان يصل وينتهي قبل أن أصل! مما كان يسبب لي آلاماً عضوية ونفسية، بل كنت أتصنع النشوة لأرضي غرور زوجي، خاصة أنه مثالي في كل شيء، فلماذا أضن عليه بأنه قادر على تلبية احتياجاتي على الفراش؟

ولله الحمد لم تعد رغبتي تمثل لي أي ضغط، فأنا أغض بصري وأغلق أذني ولا أخضع بالقول حتى لا يطمع من في قلبه مرض، لم أعد أهيئ نفسي للقائه حتى لا أسبب حرجاً له ولي أيضاً، ما آلمني هو تجاهله لتصرفي غير المعتاد، ولا أدري هل هو لم يلاحظ حيث يعود عادة منهك القوى، أو أنه وجد ذلك حلاً بعد أن تكررت محاولاته التي كثيراً ما كانت عادة ما تبوء بالفشل.

صعقت باتصال مدير مكتبه، بأن زوجي بالمستشفى نتيجة غيبوبة، هرعت إلى المستشفى، وطمأننا الطبيب؛ فكانت غيبوبة سكر، ونهره كيف يهمل صحته طوال هذه الفترة حتى ساءت حالته لهذه الدرجة؟! وحذره من عدم الالتزام بالعلاج خاصة تغيير نمط حياته، قرأت عن مرض السكر وآثاره المدمرة على من يهمله، وأدركت أنه السبب الرئيس على تدهور أداء زوجي،

وسامحته رغم آلام الحرمان من حقوقي الزوجية.

حاولت من جانبي إعداد الطعام الخاص به، بل وشاركته فيه وجلست معه لإعادة ترتيب أولوياته وأن صحته هي الأهم، خاصة أن الشركة تضاعَفَ حجمها عدة مرات، الحمد لله التزم زوجي وتحليلاته تحسنت، ولم يمض أكثر من شهر حتى بدأ يخل بتعليمات الطبيب وعاد يتأخر، مبرراً ذلك بافتتاح فرع جديد.

المشكلة التي تدمر حياتنا الآن هي أنه رغم حرصي على ألا أشعره بأي تقصير منه وقد بلغت حرماني كزوجة وسامحته، فإن شعوره بالعجز جعله سريع الغضب وتكرر خطأه فيّ، واتهمني بأنني لم أعد «أثيره»، وأصبح دائم النقد لشكلي وأسلوب حديثي.

أستاذي الفاضل، زوجي من قراء مجلتكم الموقرة، فآمل أن تجد مشكلتي من اهتمامكم؛ ما يساعد زوجي على تخطي هذه العقبة التي تكاد تحطم حياتنا.

التحليـــل:

تتميز العلاقات الزوجية بأنها متعددة ومتشعبة وتبادلية التأثير سلباً وإيجاباً، وعدم إدارتها بطريقة صحية يؤدي إلى مشكلات، خاصة إذا تعلقت المشكلة بالعلاقة الخاصة، لا أقصد هنا فقط العلاقة الحميمية بين الزوجين، ولكنني أقصد كل وسائل التعبير عن خصوصية العلاقة الزوجية التي لا يمكن أن تتم إلا بين الزوجين، بدءاً من التعبير اللفظي أو البصري عن الحب، إلى الامتزاج في العلاقة الحميمية، كما أنه بدون التفاعل العاطفي اللفظي والبصري والحسي يفقد الجماع قيمته، ويعتبر مجرد تفريغ للرغبة وليس ارتواءً عاطفياً وجسدياً.

كما أن الدافع الرئيس للزواج هو العلاقة الخاصة، وبها يتم إحصان النفس وطلب للذرية، لذا فهي من أهم العلاقات بين الزوجين، من واقع ما يعرض علينا من مشكلات، فإن أي اضطراب في العلاقة الخاصة يكون سبباً في حوالي أكثر من ٩٥٪ من المشكلات الزوجية التي تؤدي إلى الانفصال الفعلي أو النفسي بين الزوجين، إن ثمرة توفيق الله للزوجين في العلاقة الخاصة هو الارتواء العاطفي والجسدي والشعور بالاحتواء والامتزاج النفسي المتبادل بينهما؛ مما يقوي أواصر المحبة والثقة والتغافل والتغافر والمسامحة بينهما.

كما أن التعبير عن العلاقة الخاصة

العلاقة الحميمية واجبة على الزوج تجاه زوجه فهي علاقة تبادلية ومن مقاصدها الشرعية الإعفاف

ضرورة تلمُّس مشاعر الزوج العاطفية والجسدية وإرواءها خاصة الزوج مع زوجته التي من طبيعتها الحياء

خلال اليوم يهيئ الزوجين لليلة هنيئة، خاصة خلال حيضها، من خلال تبادل الزوجين أرق همسات التعبير عن الحب والشوق ونظرات التقدير والامتنان ولمسات الحنان وقبلة الوداع والاستقبال خلال اليوم، مما يقلل من حدة النقاش مهما كانت أسباب الخلاف ويبعد سوء الظن ويحول بينهما وبين والغضب وتبعاته، كم من مشكلة تلاشت أو سهل حلها وذلك بمبادرة أحد الزوجين: «حبيبتي/ حبيبي»!

من خلال ما يعرض علينا من مشكلات، يتبين لنا أن هناك مفهوماً خاطئاً عند كثير من الأزواج، وهو قصر التواصل العاطفي على وقت اللقاء الحميمي، بل إن البعض قد يكون شحيحاً عاطفياً حتى وقت اللقاء! وقد تؤكد الزوجة أن لقاءها مع زوجها سواء من حيث العدد أو الأداء طيب، ولكنها تحتاج إلى الارتواء العاطفي، وقد تتضاعف المشكلة حينما لا يمهد الزوج زوجته للقاء؛ مما قد يجعلها تعاني آلاماً وحرماناً عاطفياً وجسدياً.

إن من الهدي النبوي صلى الله عليه وسلم: «لا يقعن أحدكم على امرأته، كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول»، قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: «القبلة والكلام»، وقال: «ثلاث من العجز في الرجل.. أن يقارب الرجل زوجته فيصيبها (أي يجامعها) قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها، قبل أن تقضي حاجتها منه».

إن العلاقة الحميمية واجب على الزوج تجاه زوجه، كما أنها أيضاً حق له، فهي علاقة تبادلية ومن مقاصدها الشرعية الإعفاف والإحصان، انطلاقاً من القاعدة الشرعية «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»؛ لذا على كل زوج أن يأخذ بكل الأسباب الشرعية التي تمكنه من أداء واجباته تجاه زوجه، خاصة الواجبات المنوطة به ولا يمكن لغيره القيام بها وهي العلاقة الخاصة، فرغم واجب إنفاق الزوج على زوجته، فإنه إذا قصر لأي سبب فإن أهلها يقومون بذلك، ولكن إذا ما قصر في إحصانها فمن يعوضها؟

عن أبي هريرةَ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دعَا الرَّجُلُ امْرأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فلَمْ تَأْتِهِ فَبَات غَضْبانَ عَلَيْهَا؛ لَعَنتهَا الملائكَةُ حَتَّى تُصْبحَ» (متفقٌ عَلَيه)، هذا في حق الزوج الذي مباح له أن يتزوج بأربع نساء، فهو غير محبوس على زوجة، فما بالنا بمن هي محبوسة على

رغم أهمية العلاقة الحميمية للزوجة فإنه بالحب والحنان عادة ما ترضى وتستمر علاقتها بزوجها على خير

زوجها؟! يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

متطلبات أساسية:

لذا، واجب على كل زوج:

– أن يلم بالمعارف والمهارات والقدرات التي تمكنه من حسن التفاعل مع زوجه في العلاقة الخاصة، والحرص على متابعة التعلم، ولله الحمد هناك الآلاف من الصفحات الإلكترونية يشرف عليها مسلمون متخصصون يتناولون كل ما يخص العلاقة الخاصة بأسلوب علمي حيّ.

– أن يعتني بصحته البدنية بدءاً بنظافة أسنانه حتى كفاءته الجنسية، وكذلك صحته النفسية، نعم على الزوج أن يجدّ لطلب المال الحلال لإعالة أهله، لكن عليه أيضاً ألا يهلك نفسه في طلب المال فيعجز عن أداء حق زوجته، إن لله حق العبادة، ولكن دون أن يؤثر ذلك سلباً على حق الزوج، فالزوجة لا يحق لها صيام التطوع وزوجها حاضر دون إذنه، وقد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنا عائشة ليناجي ربه ليلاً!

– الشفافية: دون أن يخدش الزوج حياء زوجه، يجب أن يلفت نظره إلى ما يساعده على أداء هذه الأمانة، ولا يخجل ويظلم نفسه وزوجه، وقد ينفجر.

– التطوير والإبداع: إن الرتابة والأداء النمطي المتكرر يؤدي إلى الفتور والملل ومن ثم ضعف الأداء، ولكن التطور والإبداع سواء في الحديث أو طريقة التناول أو في شكل الفراش وغرفة النوم والزي والتجمل وتذكّر لحظات خاصة مبهجة بين الزوجين وغيره

الكثير يجعل كل ليلة هي الأجمل في اللقاء.

– التجمل: قد يعتقد بعض الأزواج أنه فقط على زوجته التجمل والظهور بأبهى صورة له، في حين أنه يهمل التجمل لها، روي عن ابن عباس: «إني أحب أن أتزين لامرأتي، كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)».

– لا تضع زوجك في عوز: تتميز العلاقة الخاصة بحساسية عالية جداً، وصعب على نفسية الزوج أن يبادر، فيغفل زوجه أو يتغافل عن تلبية احتياجه، فيصد وتتعقد العلاقة، خاصة إذا ما كانت الزوجة هي المبادرة، وإذا كنا ننبه دائماً كلا الزوجين ألا تضع زوجك في عوز، بل استشعر احتياجاته واحرص على إشباعها، قبل أن تعنّ عليه، لذا فإن تلمس مشاعر الزوج العاطفية والجسدية وإرواءها خاصة الزوج مع زوجته التي من طبيعتها الحياء واجب.

– حجرة النوم: حجرة النوم للنوم، وليست للعتاب أو حل المشكلات، دائماً ما أكرر: اترك كل ما يشغلك ومهما كانت المشكلات على باب غرفة النوم، وهيئ نفسك لحضن دافئ يجمعك وزوجك.

– التواصل رغم امتناع العلاقة: قد تمتنع العلاقة الحميمية مؤقتاً لأسباب شرعية أو طبية، وقد تضعف أو تتلاشى لأسباب طبية دائمة، وهذا ليس معناه انقطاع التواصل العاطفي بين الزوجين، إن القصور في العلاقة الحميمية يجب أن يلازمه تدفق مضاعف في التعبير العاطفي، لأن كلا الزوجين يكون في احتياج إلى التعويض عن النقص في إشباع العلاقة الحميمية.

– الزواج ليس فقط علاقة خاصة: يضخم كثير من الأزواج هذه العلاقة وكأن قيمته عند زوجته أداء العلاقة الحميمية! وأؤكد أنه رغم قيمة وأهمية العلاقة الحميمية للزوجة، فإنه بالحب والحنان والتواد عادة ما ترضى الزوجة وتستمر علاقتها بزوجها على خير، في المقابل على الزوج أن يبذل جل وكل جهده لترتوي زوجته، وهناك من العديد من الأساليب لذلك، بشرط توافقهما معاً.■

دروس ملهمة للأسرة المسلمة (6)

الوصية.. بين الإنصاف والإجحاف

د. محمد البربري
داعية إسلامي

الأولاد ثمار القلوب، وكلنا يرجو ازدهار زرعه، ويترقب قطاف ثمره، ويرقب أبناءه بعين الحب، ويتمنى لهم من الصلاح التمام، ويبذل في سبيل هذا الأمل الغالي والنفيس، لكن تبقى حصيلة الثمر رهينة في يد القدر، فتظل يد الله تعالى هي المرجوة، وحول الله سبحانه هو القوة وهداية الله أكمل هداية، وأنبل وأشرف غاية.

والعقلاء يدركون أن ملخص حياة الإنسان يكون عند ختام العمر وفي اللحظات الأخيرة منه على فراش الموت؛ لذا شُرعت الوصية، وعمل بها الأنبياء والمرسلون، واقتدى بهم الأتباع والصالحون؛ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢)، والوصية بهذا الدين أعظم الوصايا وأعلاها وأغلاها، وهي وصية الله للأولين والآخرين.

التربية بالتقوى

الوصية الوالدية من أهم وسائل التربية المؤثرة وركائزها العظيمة الباقية؛ لأنها توجيهات تلامس الواقع، ومنارات تنير ردهات المستقبل.

لذا أشرف عمر بن عبدالعزيز على

الإنسان الفرد هو أساس المجتمع وعماده الأول، ومحور هذا الكون، وأهم لبنة في صرحه الشامخ، وبنيانه السامق، فهو مدني واجتماعي بطبعه، يبدأ حياته بمركب مزدوج؛ أبيه وأمه؛ لذا فالأسرة هي المحضن الأول.

وهو كذلك ابن بيئته وأسرته؛ فهي تؤثر في تكوين سلوكه وأفكاره وقيمه وعاداته ودينه وثقافته ولغته، وهي الأرض الخصبة التي يمكن أن نزرع فيها كل معاني الحب والرحمة والفضيلة في نفوس الناشئة.

زرعه بنفسه فأدَّب أولاده فأحسن الأدب، وروّضهم فأحسن الرياضة، وجعل منهم قوالب قرآنية تتطلع للصلاح والإصلاح، ثم لما حانت لحظة الوداع وضع لهم آليات تضمن لهم الثبات حتى الممات؛ فكانت وصيته بهم إلى من أنزل الكتاب وأجرى السحاب وهزم الأحزاب.

وبين البدء والختام نرى خيوط التربية موصولة، فقد ذكر كتاب «السير» أنه لما حضرت عمر بن عبدالعزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبدالملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد أفغرت أفواه ولدك

ملخص حياة الإنسان يكون عند ختام العمر لذا شُرعت الوصية وعمل بها الأنبياء واقتدى بهم الصالحون

من هذا المال، فلو أوصيت بهم إليَّ وإلى نظرائي من قومك فكفوك مؤونتهم، فلما سمع مقالته، قال: أجلسوني فأجلسوه، فقال: لقد سمعت مقالتك يا مسلمة، أما قولك: أني قد أفغرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم، ولم أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم، وأما ما قلت الوصية فإن وصيتي فيهم: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٦).

وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما صالح فسيغنيه الله، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله، ادع لي بَنِيّ، فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه وقال: بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم، وبكى، يا بَنيّ، إني قد تركت لكم خيراً كثيراً لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقاً، يا بني، إني قد مثلت بين الأمرين: إما أن تستغنوا وأدخل النار، أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إليَّ، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله[1].

وقال ابن الجوزي: أبلغني أن المنصور قال لعبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: عظني قال: مات عمر بن عبدالعزيز وخلَّف أحد عشر ابناً، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً، كفن منها بخمسة دنانير، وثمن موضع قبره ديناران، وقسم الباقي على بنيه، وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهماً، ومات هشام بن عبدالملك وخلف أحد عشر ابناً، فقسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف، ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبدالعزيز قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله عز وجل، ورأيت رجلاً من ولد هشام يُتصدق عليه[2].

وهنا مجموعة من الدروس نحتاج إلى تأصيلها في الواقع، لقد وضع عمر بن عبدالعزيز برنامجاً تربوياً ناجحاً لأولاده في مستقبل الأيام تربى هو عليه قبل ذلك ثم سقاه لأولاده ماءً سلسبيلاً.

ما أجملها من وصية حين قال عمر: إن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين! ففيها استشعار لمعية الله تعالى واستحضار لعظمته سبحانه، فدائماً الله أولاً، وما دام الأمر كذلك فلا خوف على مال ولا ولد؛ لأنهم عند الأمان الذي لا ضياع معه، والركن الشديد الذي لا نجاة إلا في رحابه.

فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم، كلمة رائقة بتوقيع الخليفة العمري الزاهد يتمثل فيها الورع الشديد في أحرج اللحظات، وتفويض الأمر لله تعالى، والحرص الشديد على المحافظة على المال العام؛ لأنه يعلم أن من دخل دار الهوى تاجر بالعمر، وهو أنفس ما يملك الإنسان، فأراد أن يودعها كفافاً لا له ولا عليه، وليكن دائماً الله أولاً.

وغريب أمر هؤلاء الذين يصرون على سرقة المال الحرام ليستمر وزرهم بعد الممات!

ما أحوجنا إلى تأصيل هذه المعاني الإيمانية الجليلة في نفوس أولادنا لتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم؛ كالورع والخشية والخوف والرجاء ومراقبة الله في السر والعلن.

معادلة لا يفهمها إلا الكبار حين قال عمر: إما أن تفتقروا وأدخل الجنة، وإما أن تستغنوا وأدخل النار، فاكتفى بالحلال الطيب ولو كان قليلاً؛ لينجو من لفحات

ما أحوجنا إلى تأصيل المعاني الإيمانية الجليلة في نفوس أولادنا لتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم!

النيران إلى نفحات الجنان، فإن كان الحرام أعلى رأساً فإن الحلال أثبت قدماً، ودرهم من حلال تستجلب به البركات خير من ألف درهم من حرام تستمطر به اللعنات.

يقول الإمام ابن القيم: الدراهم أربعة؛ درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله فذاك خير الدراهم، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج في معصية الله فذاك شر الدراهم، ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج في أذى مسلم فهو كذلك، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق في شهوة مباحة فذاك لا له ولا عليه، هذه أصول الدراهم[3].

الذكر الطيب والثناء الحسن خير كنز يضاف إلى رصيد الإنسان في حياته وبعد مماته، وأنفس ميراث عند أصحاب الأفكار النيرة، والعقول المبصرة تهون معه الدنيا بزخرفها وزخارفها، فما ترك عمر لأولاده كثير مال وإنما ترك لأولاده سيرة حسنة ينتفع بها العيال، فلم يكن همه أن يكون في صوف الموسرين، بل اختار أن يرفع شعار ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤).

صلاح الآباء يمتد إلى الأبناء، وهذه ثمرة جناها عمر بن عبدالعزيز في أولاده، وصدق أرحم الراحمين: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١).■

الهوامش

(١) سيرة عمر، ص ١١٦-١١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٨.

(٣) الفوائد، ص ٢٤٦.

جهاد غزة.. نصرٌ أو استشهاد

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

لله دركم جند «القسام»! تخوضون بحار المنايا؛ فتزدادون بأساً وقوة وشكيمة وعزماً، لا تبالون بعدو جمع لكم أعتى سلاح وأفتك عتاد وأشرس قوة، يتقدم أحدكم ويُلقي بنفسه في مهاوي الردى وكأنه البراء يختال في مشيته كأبي دجانة، مشتاقاً إلى الجنة كعمير، معتذراً إلى ربه عن تقصير المسلمين كأنس، رضي الله عنهم وأرضاهم.

أسر مُحيت من السجل المدني في غزة، ولكنها مثبتة في السجل الرباني المختوم؛ ﴿أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران).

طوبى لمن يصدقون في طلب الشهادة في سبيل الله! عن معاذ رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سأل الله القتل من نفسه صادقاً، ثم مات أو قُتل فإن له أجرَ الشهيد»[١]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من طلب الشهادة صادقاً أُعطيَها ولو لم تُصِبْهُ»[٢]، وعن سهل بن حُنيف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[٣].

أنفاق «القسام» تذكرنا بالخندق؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق؛ فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النَّصب والجوع، قال: «اللهم إن العيش عيشُ الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»[٤].

إنها أيام التضرع والدعاء؛ عن عبدالله بن أوفى رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم -في بعض أيامه التي لقيَ فيها العدو- انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس قال: «أيها الناس؛ لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، ثم قال: «اللهم منزل الكتاب، ومُجري السحاب، وهازم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[٥].

علامات النصر:

علامات نصر «حماس» والمقاومة واضحة لكل عاقل منصف عالم بما يدور:

- مغادرة آلاف الصهاينة منذ ٧ أكتوبر الماضي وبلا رجعة والأعداد بازدياد.
- آلاف لا يذهبون إلى أعمالهم وانحطاط الاقتصاد الصهيوني.
- ينتظرون الآن انتفاضة جديدة بالسلاح والمتفجرات تنطلق من الضفة.
- وهذه كلها مؤشرات على زوال الكيان الغاصب.

صبراً أهل غزة.. لا حزن يدوم ولا سرور.. ولا ضعف يدوم ولا غرور.. ولا فقر يدوم ولا قصور.. الصحة لا تدوم والعافية تتقلب بين الظهور والأفول!

﴿وَلاَ تَهِنُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)، آلاف الصهاينة هاجروا وهم في خوف ورعب وفقر وفاقة وسيلحقهم رفاقهم تباعاً وهم يألمون!

انظر البشارة بالنصر والغلبة، ذكر الله المرسلين ثم ذكر جنده مباشرة فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات)، يا لها من بشارة عذبة تسكب في القلب أملاً، وفي الصدر انشراحاً، وفي النفس همة ورجاء، وفي الروح قوة واندفاعاً.

أيها المجاهدون والمدافعون عن غزة، تدبروا القرآن، وما أروع المقارنة بين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقصة سيدنا يوسف عليه السلام التي سطرها قلم الإمام الندوي رحمه الله تعالى حيث يقول: «في هذه الأجواء القاتمة التي لا تثير أملاً ولا تبشر بمستقبل، ولا يُرى فيها وميض من النور، قصّ الله على رسوله قصة يوسف، وسيرته صلى الله عليه وسلم من أشبه السير به، وقصته مع قبيلته قريش كقصة يوسف مع إخوته، حسد ومحاربة في البداية، واعتراف وإجلال وندم في النهاية، وإبعاد وإقصاء، ونكران وجفاء في الأول، وخضوع والتجاء واستعطاف واستجداء في الآخر، وغيابة الجب في محنة يوسف، وغار ثور في رحلة محمد صلى الله عليه وسلم، وسجن في قصة ابن يعقوب، وشعب أبي طالب في قصة ابن عبدالمطلب».

ثم يقول: «وهكذا نزلت هذه السورة في جوِّ مكة الثقيل المظلم ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمستقبله العظيم المشرق الزاهر»[٦].

طوبى للصابرين؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، يُصب عليهم الأجر والثواب صباً كما صُب عليهم البلاء والمصائب صباً، وتنهمر عليهم الكرامات والمواهب الربانية والأجور كما ينهمر عليهم الغيث العذب الزلال، طوبى للصابرين المحتسبين الثابتين هنيئاً لهم.

لقد حانت، بإذن الله، ساعة جلاء يهود عن فلسطين المباركة، وإنه جهاد نصرٌ أو استشهاد، والله أكبر ولله الحمد!

إِنَّ الَّـذِي زَيَّفُـوهُ كُلُّـهُ كَـذِبُ
مَا لِلْيَهُـودِ بِـدَارٍ أَهْلُهَـا عَـرَبُ!
وَلَوْ بَنَوْا فَوْقَهَـا الأَطْـوَادَ شَامِخَـةً
وَأَسْكَنُوا فِي حِمَاهَا كُلَّ مَنْ جَلَبُو
فَفِي غَـدٍ تُشْعَلُ النِّيـرَانُ ضَارِيَـةً
وَهُمْ وَمَـا شَيَّدُوهُ فَوْقَهَـا حَطَـبُ
هَذِي فِلَسْطِينُ دَارُ الْعُرْبِ مَا بَقِيَتْ
مَا بَارَحُوا أَرْضَهَا يَوْمًا وَمَا ذَهَبُو
هُـمْ يَعْرِفُـونَ وَمَا هَـذِي بِخَافِيَـةٍ
أَنَّ الَّذِي سَلَبُوهُ لَيْسَ يُسْتَلَبُ[٧] ■

الهوامش

(١) قال الترمذي: حديث صحيح.
(٢) صحيح مسلم.
(٣) صحيح مسلم.
(٤) البخاري، ومسلم.
(٥) البخاري، ومسلم.
(٦) أبو الحسن الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن.
(٧) عبدالمنعم أحمد يونس، الانتصارات العسكرية في الشعر العربي، المصدر: مجلة الرباط الأدبي، العدد التاسع، ذو الحجة ١٤٣٠هـ.

20

أهلنا ما نخليهم

جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الأقربون أولى بالمعروف

عشرون عاماً من العطاء

الغارمين

عدد الحالات	المبلغ
18,000 ألف حالة	13 مليون

أسر السجناء

عدد الحالات	المبلغ
15,000 ألف حالة	3,2 مليون

أرقام الحسابات البنكية: بيت التمويل الكويتي 011140010577- البنك الوطني 1000314577- بنك بوبيان777619001

24834414 94064086 @Takaful.Association
www.altkaful.com @altakaful

2024 / 2 د ح / 9

للتبرع

1888833

تجوز الزكاة